الثقافة

مجلة ثقافية أدبية تصدر في دمشق

تموز
١٩٧٧

صاحبها ورئيس تحريرها
مدحة عكاش

دمشق ـ ص.ب (٢٥٧٠) هاتف ٢٢٩٩٨٤

شعرنا الاصيل

.. مرة أخرى نعود للقول ، بأننا ما كنا يوما لنتنكر لادب جديد وبخاصة للشعر الحديث ، ففيه الجيد وفيه الرديء شأنه كشأن أي فن من فنون الادب ، الا أننا اذا اقتصرنا في مجلة الثقافة الشهرية على نشر شعرنا الموزون المقفى فحسب ، فما ذلك الا لطرح هذا الادب الاصيل الى جانب كل حركة تجديد ، تاركين للزمن ولاذواق الناس حق الاصطفاء والاختيار والتفضيل ...

ونستميح الشعراء عذرا في عدم قبول أي لون من الشعر الحديث لمجلة الثقافة الشهرية ذلك لاننا نرى العديد من المجلات العربية المعاصرة تسفر عن وجهها في التنكر لادبنا الاصيل وتتأبّى عن نشر أية قصيدة موزونة مقفّاة ..

ونحن لا نريد أن يُفسر ذلك منا بمفهوم ضيق كردة فعل ، وانما غايتنا من وراء ذلك المزاوجة بين الادبين ، وترك الحكم ـ كما قلنا ـ للزمن فهو الكفيل بالبقاء على الاصلح ..

رئيس التحرير

الحياة في كتاب الأغاني

شفيق جبري

اذا كنا ننظر الى كتاب الاغاني من ناحية ما قاله صاحبه في مقدمته من انه جمع فيه ما حضره وامكنه جمعه من الاغاني العربية ، قديمها وحديثها ، فانا نظلم ابا الفرج لانه جمع ما هو اجل قدرا من ذلك ، واذا كنا ننظر الى هذا الكتاب العظيم من ناحيةما جمعه صاحبهفيه من اثار واخبار ، وسير واشعار متصلة بايام العرب المشهورةواخبارها الماثورة وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الاسلام ، فانا نظلم انفسنا لان وراء هذا كله حياة اجتماعيةكامنة لا ينبغي لنا ان نغفل عنها .

ان الذين قالوا : لقد وقع الاتفاق على ان كتاب الاغاني لم يعمل في بابه مثله لم ينحرفوا عن الحق في قولهم ، ولست في حاجة الى ذكر ماقاله القدماء في قيمة هذا الكتاب امثال الصاحب بن عياد وعضد الدولة والوزير المهلبي وعبد العزيز بن يوسف والثعالبي وياقوت وابن خلدون .

أما الاغاني التي جمعها أبو الفرج وأما المصطلحات التي استعملها امثال قوله : الثقيل الاول وخفيفه الثقيل الثاني وغير ذلك من هذه المصطلحات ، اما هذا كله فقد ينفرد بمعرفته رجال الموسيقى ، ولست منهم في شيء ، والذي سمعته انهم في عصرنا قد احاط علمهم بكل هذه الرموز واصبحوا يعرفون مايراد بالثقيل الاول والثقيل الثاني ، فهذا لايعنينا امره في هذا المقال ، كما انني لا اعني بالاغاني ومصطلحاتها في كتاب الاغاني فكذلك لا اعني في هذا المقال بالادب المستفيض في هذا الكتاب ، ان هذا الادب انما هو كنز لا يفنى مع الانفاق ، وهذا التعبير اقتبسته من ابن المقفع لانه وحده يليق بالافصاح عن منزلة كتاب الاغاني ، فاذا كنا لا نقرأ هذا الكتاب الا للانتفاع بادبه

فقد يتم لنا من هذا الانتفاع شيء كثير نصفي به ذوقنا وننمي به معرفتنا ونقف على طبقات كثيرة من الشعر على اختلاف عصوره واطواره ٠ ولكن كتاب الاغاني ينبغي لنا ان نقرأه لاسباب ثانية ٠

وسنطلع في هذه القراءة على فوائد لا تقل عن الفوائد الادبية ، سنتمتع بالوقوف على الحياة بحذافيرها في بعض المواضي كمن عصورنا ، لقد ذهبت عنا اخبار كثيرة من هذه الحياة فاذا افتقرنا الى شيء فانا نفتقر الى الاحاطة بمظاهر تلك الحياة فلا نعرف مثلا اين كان تدريس الطلاب ولا كيف كانت معاملة المعلمين للطلاب ولا كيف كانت مجالس الطلاب واساليب دراستهم وطبيعة هزلهم ٠ غير ان الحياة لاتقتصر على حياة الطلاب وحدهم فانها تمتد الى افاق ابعد ، الى اللهو والشراب والزينة ، الى داخل الدور وما تشتمل عليه هذه الدور من الاواني والفرش والثياب ٠

هذا بعض مانحتاج اليه من معرفة الحياة الاجتماعية في تاريخنا ، ولا سيما حياة العامة فان ادبنا في القديم قد حبس على الخاصة واهمل اكثره معرفة امور العامة ٠

وفي كتاب الاغاني اشياء غير قليلة من هذه المعرفة، غير ان حياة الخاصة ، ولا سيما حياة الخلفاء ، كانت اظهر في كتاب الاغاني فقد نقف فيه على امور كثيرة من قصور الخلفاء وفن البناء في الحجاز والشام والعراق ٠

ماذا أحصي من مظاهر الحياة الاجتماعية في كتاب الاغاني ، افلا يهمنا ان نعرف اندية تلك العصور ومطاعمها وخاناتها وقصاصها وافراحها واحزانها ؟ واما المرأة وحياتها فقد كانت سرا من الاسرار ، الا ان ابا الفرج قد كشف لنا عن هذا السر بكلامه على حرية المرأة في الزواج وتفكيرها في حرية الطلاق وتحدثها الى الرجال وحجابها وسفورها ، ونحن في اشد الحاجة الى مثل هذا الكشف ولو كان قليلا ٠٠

هذا بعض ما نهتدي اليه في كتاب الاغاني ، دع عنك اشياء ثانية تتصل بالغناء في القصور وبمواكب الحج وغير ذلك ، والذي نستغربه كل الاستغراب انما هو امر اللهو والتبذير ، وحسبنا بيتان قيلا في التبذير وردا في كتاب الاغاني ٠

وحلـــة تنشـــر ثم تطـــوى
وطيلسان يشتـــري فيغلـــى

لعبـــد عبد او لمولـــى مولـــى
ياويح بيت المال ماذا يلقـــى

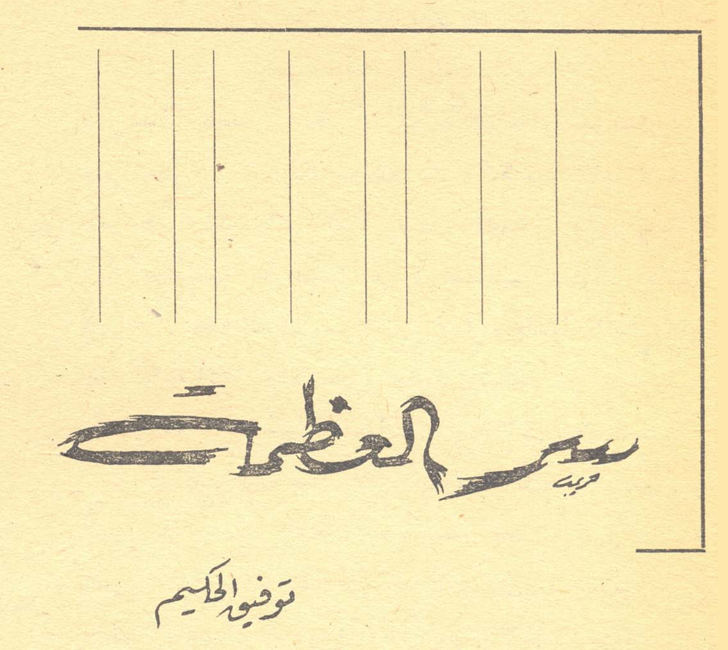
ليس هذا كل ما يحتوي عليه كتاب الاغاني الخالد على تعاقب العصور ولكني اكتفي بالاشارة الى بعض محتوياته حتى نعلم ان هذا الكتاب ليس مجرد ذكر الاغاني العربية ، وذكر اثار واخبار وسير واشعار ، ولكنه صورة حياة اجتماعية بحذافيرها نمر في تضاعيف سطوره بطائفة من اسرار هذه الحياة مما لا نمر في غيره باشباهها فاذا نحن جمعنا هذه الاثار والاخبار والسير ، ونسقناها في كتاب خاص حصلت لنا بذلك صورة الحياة الاجتماعية في بعض ايامها ٠

قد نستغرب هذا الامر فنقول : لماذا لم ينسق ابو الفرج كتابه على الشكل الذي يصور لنا الحياة اوضح تصوير ؟! انه قد فطن الى هذا التنسيق ولم يذهب عنه ، ولكنه اعتقد ان في طباع البشر محبة الانتقال من شيء الى شيء ، والاستراحة من معهود الى مستجد ، وكل منتقل اليه اشهى الى النفس من المنتقل منه ، والمنتظر اغلب على القلب من الموجود ٠

غير انا في هذا العصر نميل الى التنسيق والاختصاص، فاذا تفرغنا لموضوع فاننا نحب أن نتفرغ له بشيء كثير من التبويب ، وهكذا نجد ان اساليب التأليف تختلف من عصر الى عصر وان الاذواق تتباين من دهر الى دهر ،

وكيف كان الامر فاذا وجدنا في كتاب الاغاني ذخيرة لادبنا وصورة من اشعارنا على اختلاف ايامها نصفي بها اذواقنا في الشعر ، ومظهرا من مظاهر النقد الادبي نهتدي به الى المحاسن والمساوىء ، اذا وجدنا هذا كله فقد آن لنا ان نجد في كتاب الاغاني صورة حياتنا الاجتماعية في كثير من انماطها ، وان نملأ قلوبنا وعقولنا من هذه الصورة فنخرج من هذا كله بنتيجتين :

علو منزلة ابي الفرج في الادب والذوق ٠
وعلو منزلته في تصوير الحياة ٠
وهذا ما يدخله في جنات الخالدين ٠٠



سر العظمة

توفيق الحكيم

ينبغي لمن أراد أن يدرك سر عظمة النبي أن يتخيل رجلا وحيدا فقيرا تمكنت من قلبه عقيدة فنظر حوله فاذا الناس كلهم في جانب ، واذا هو بمفرده في جانب ، هو وحده الذي يدين بدين جديد ، بينما الدنيا كلها : أهله وعشيرته ، وبلده وأمته ، والفرس والروم والهند والصين وكل شعوب الارض لايرون مايرى ، ولا يشعرون لـه بوجود ٠

هذا موقف النبي ، وهذا موقف العالم : رجل عاطل من كل قوة وسلاح ، الا مضاء العزيمة وصلابة الايمان ، أمام عالم تدعمه قوة العدد والعدة ، وتؤازره حرارة عقيدة قديمة شب عليها وورثها عن أسلافه ، واتخذت لها في قرارة نفسه وأعماق تاريخه جذورا ليس من السهل اقتلاعها على أول قادم ٠ فالنبي هو ذلك القادم الذي يريد أن يقتلع تلك الجذور ويضع مكانها غرسا جديدا ٠ والعالم القديم هو ذلك السادن القوي لتلك الشجرة العتيدة ، يذود عنها وتأبى كرامته أن يفرط في ورقة منها ٠ انها اذن ــ مبارزة ــ بين فرد أعزل ، وبين عصر بأسره يزمجر غضبا : عصر زاخر بأسلحته ورجاله ، وعقائده وفقهائه ، وعلمائـه ومشاهيره ، وتقاليده وماضيه ، ومجده وتاريخه ٠٠٠ هذه المباراة الهائلة العجيبة من يستطيع أن يقدم عليها غـير نبـي ٠٠

على أن المعجزة بعد ذلك ليست في مجرد التحـدي ورمي ــ القفاز ــ ، وارتفاع ذلك الصوت الضعيف على شاطىء ذلك البحر الطامي العجاج : « أن اترك أيها العالم دينك القديم واتبعني » ٠ ذلك الصوت الذي لا جواب عليه الا سخرية طويلة وقهقهة عريضة ٠٠٠ وليست المعجزةكذلك في مجرد شفاء الاصم وابراء الاعمى ، انما المعجزة حقيقة هي أن يخرج مثل هذا الرجل الوحيد الاعزل من هذه المعركة المخيفة ظافرا منتصرا ، فاذا هذا العالم العتيد كله يجثو عند قدميه منكس الاسلحة ، وقد انقلبت سخريته خشوعا طويلا ، وقهقهته صلاة عميقة ٠

كيف ربح هذا الرجل الموقعة ؟ ما وسائله ؟ هل كانت له خطط وأساليب وقوة من شخصه مكنته من النصر ؟ أو أن الله هو الذي نصره دون أن يكون لشخصية النبي دخل في الانتصار ؟

عقيدتي دائما أن شخصية النبي لها أثر كبير ، وهنا معنى الاصطفاء ، فالله يختار من بين البشر عظيما له كاهل يحتمل عبء الرسالة ، ويوحي اليه بالعقيدة ثم يتركه يجاهد في سبيلها ٠ فالنبي ليس آلة تحركها يد الله في كل خطوة ، انما هو رسول عهد اليه تبليغ دين والعمل على اذاعته بين الناس بالوسائل التي يراها الرسول ببلوغ الغاية ، فالله لايريد نشر الاديان بين البشر الا بالوسائل البشرية ٠ فهو لا يتدخل بقدرته العلوية فيفرض الدين فرضا على الناس كما تفرض عليهم الزوابع والامطار ، ولكنه يحب دائما

أن يخلي بين ـ الدين ـ وبين ـ الناس ـ حتى يتغلغل الدين من تلقاء نفسه في نفوسهم بجمال نوره وحده ، ولكن أعين الناس لاترى في كل الاحيان ، فهم يعيشون في أعماق ماضيهم كالاسماك العمياء في أغوار المحيطات .

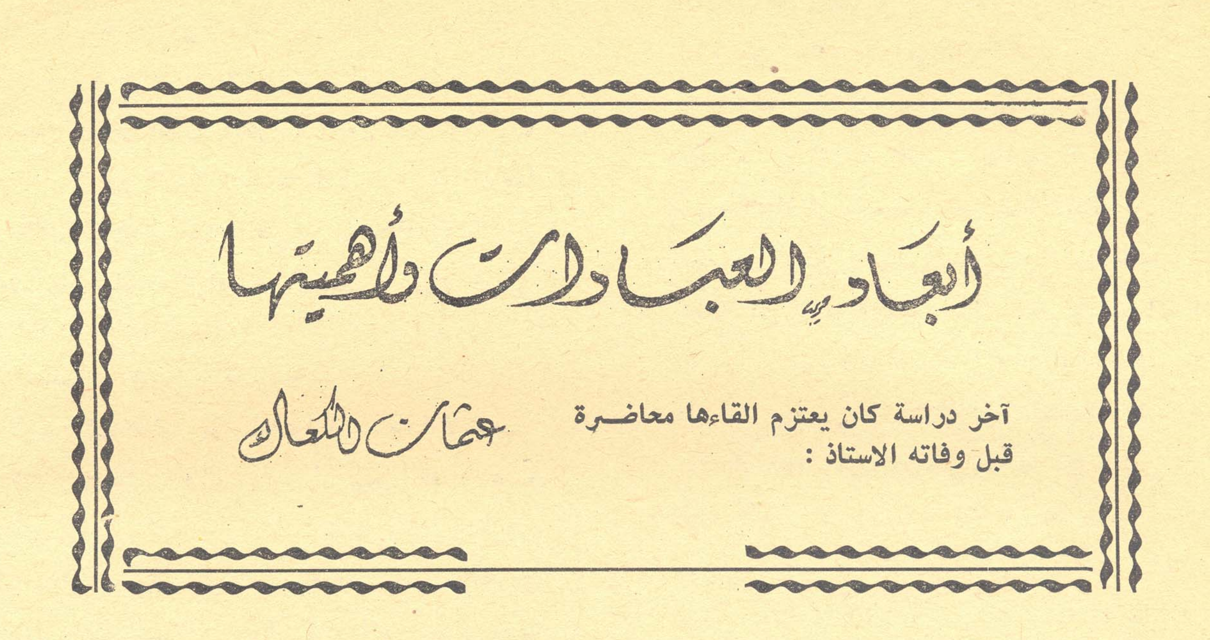
هنا تبدأ متاعب النبي ، وهنا تبدو عظمته ،وهنا تظهر المعجزة الحقيقية وهي ابراء الاعمى ، لا أعمى واحد ولكن ملايين العميان ، فهو الذي يفتح أبصارهم على نور طالما جحدوا وجوده : نور الدين الجديد الذي أتى به . وهنا ينبغي التساؤل : كيف استطاع النبي أن يري الناس مايرى، وأن يقنعهم بما جاء به ؟ الجواب بسيط : حياة النبي وخلقه .

ان الناس لا تقتنع بالكلام وحده . انما يؤثر فيها الفعل والمثل . ان الناس يوم أيقنوا أن محمدا لايسعى الى غنى ولا الى ملك ، وأنه يريد أن يبقى فقيرا يشبع يوما ويجوع أياما ، وأن كل تلك المخاطر التي يتعرض لها في كل خطوة ، وأن كل ذلك الهوان الذي يناله من سفهاء القوم وأكابرهم ... وأن كل ذلك الجهاد الذي ملأ به حياته بأكملها انما هو في سبيل ـ العقيدة ـ التي يقول لهم عنها ، منذ ذلك اليوم الذي اجتمع فيه كبراء أمته وعرضوا عليه ثروتهم ، ووعدوه أن ينصبوه عليهم ملكا على شرط أن يتركهم على دين آبائهم ، فرفض المال والمجد والسلطان ، وأبى الا شيئا واحدا صغيرا : « أن يؤمنوا معه بفكرته » ، عند ذاك أدرك أولئك القوم جميعا أن الامر جد لاهزل ، وأنهم أمام رجل لا ككل الرجال ، وأن الآدمي الذي لا يغريه في الحياة شيء ، ولا يعيش الا من أجل فكرة ، لا بد أن يكون قد أبصر في هذه الفكرة جمالا لم يبصروه هم . ـ فكرة ـ لا تقوم بمتاع من أمتعة هذه الدنيا الرخيصة ، و ـ جمال ـ يضحى في سبيله خير ما في الحياة .

أمام هذا الرجل أخذ الناس يفكرون مليا ، وثبت لمن كان قد ارتاب في أمره أن مثله لا يمكن على الاقل أن يكون أفاقا يعمل لمغنم . انما هو رجل صادق مخلص ، لامطمع له من تلك المطامع التي يسعى اليها الناس في هذه الدار ، عند ذاك بدأ كثير من الناس يجلسون اليه ويصغون الى كلامه ... فوسيلة النبي الاولى وخطوته التي نزل بها الميدان هي اقناع هذا الخضم الصاخب من الخلق أنه مجرد عن الغايات الدنيوية . وهنا كانت قوته ، فان أمضى سلاح في يد رجل يريد أن يقارع البشر ، هو أن يواجه البشر بيد خالية من أغراض البشر .

ولكن هذا لا يكفي . فالناس قد تقتنع بأمانة النبي، وقد تستمع الى ما يقول ، ولكنها . لاتستطيع أن تنبذ في يوم وليلة كل ماضيها لتؤمن بهذا الكلام الجديد. ان صدر الجماهير كصدر المحيط العميق ذي الماء الكثيف ، يدفع الى سطحه كل جسم غريب ، ولا ينفذ الى أعماقه الا شيء ذو وزن ، بعد زمن وجهد . وان الناس لشديدة الحرص على ما تسميه كنوز تراثها وتقاليدها . فما أدراهم أن هذا الكلام الجميل الذي جاء به هذا النبي ذو الحديث الطلي ليس الا بضاعة زائفة ووهما خلابا لعب بلب هذا الرجل ؟ ولم لايكون هذا الرجل الامين المسكين فريسة مرض ومس ؟ ما هو الاجدر بهم عندئذ ؟ يطلبون له الطب حتى يبرأ ، أو يلقون بكنوزهم ويتبعون حلمه ومسه .

لقد وصفت المسألة اذن وصفا آخر ، واتخذت الحرب ميدانا جديدا . ماذا يصنع النبي ؟ لابد له من أن يبددضباب الشك المخيم على الاذهان حتى يصل اليها نور الدين . هنا صفتان لازمتان : الصبر والمثابرة ، فان العاقبة في الحرب لمن صبر وثابر . وان أمامه لخصما جديدا ، هو الشك الذي يقوم الان في رؤوس الناس ، فان كان حقيقية رجلا عظيما فليقتل هذا الشك بمفرده .. وما هو بشك رجل واحد ، انما هو شك أمة طامية . ولقد جاهد الرسول فعلا في كل لحظة من لحظات حياته ، الى أن استطاع ذات يوم أن ينقل العقيدة التي في قلبه حارة قوية الى قلوب الناس جميعا . وهنا كان النصر الاخير ، وتمت المعجزة . وتمكن هذا الرجل الواحد من أن يضع العالم في قبضته ، ويخضعه لفكرته ، ويطبعه الى أبد الابدين بخاتمه ،ويدخل الى صدره أشعة نور جديد .



المواطن المسلم ارادة الله كاملا : روحيا ، واحساسياوبدنيا ، وعلميا ، وفنيا ، وادبيا ، واجتماعيا ٠

اولا : البعد الروحي

الصلاة

اذا قال المسلم الله اكبر ، ورفع يديه نثر وراءه الدنيا وما فيها ، ولم يعد يتصور الكبرياء الا لله تعالى ، فيحقر كل ما وكل من دون ذلك ٠

فهذه تربية وعقيدة وتصور يتربى عليها منذ السابعة من عمره الى ان يلاقي وجه الله تعالى ٠

ثم اذ قرأ الفاتحة ،قال الحمد لله ، فلا شكر الا لله لان النعم والخير كله بيده ، فهو المعطي والمنعم والهادي وكل من هو غيره فهو معط باذنه ومنعم باذنه وهاد باذنه٠ ربي ان الهدى هداك، ومن اعتصم بغير الله ذل٠ ذلك لان الله رب العالمين لا رب غيره ، ولا معبود سواه ٠ واذن فقد شفانا من عبادة البشر ومن الاشراك به ومن تعدد الالهة ومن الاسرار الخفية التي لا يسلمها العقل كالاه له ولـد ، او بقرة او آله يجب القرابين ٠ قال ابو العلاء المعري :

عجبت لكسرى وأشياعه

وغسل الوجوه ببول البقر

وقـول اليهـود الاه يحب
أصيص الدماء وريح القتر
وقول النصارى الاه يضام
ويقتـل حيـا ولا ينتصـر
فواعجبـا مـن مقالتهـم
أيعمى عن الحق كل البشر ؟

هذا الاه مليء بالرحمة ، رؤوف بعبادة ، يفيض عليهم سحائب رحمته ، وشأبيب رضوانه ، وهو مالك يوم الدين ، يوم لاينفع مال ولابنون الا من اتى الله بقلب سليم • فهو الديان الاعظم • فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره •

لذلك جعل الاسلام المحاسبة ويفسرها الغزالي بانها محاسبة يومية كمحاسبة التجارة والمداخيل والمخاريج ، فهو عند المنام ينظر في ضميره فيحصي ما تم على يديه من حسنات وما فيه من محاسب ، وما تم من سيئات وما اكتسبه من مساوىء ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فيجعل عمودا ايجابيا وعمودا سلبيا وعمودا تفاضليا ، ثم يرسم السيات في رزنامة ليمحوها منها في اليوم ،وفي الاسبوع ،وفي الشهر ، وفي السنة ، حتى يقضي عليها • ولاجل تقوية نفسه على الطاعة يستعين بالله وبمطالعة القران الكريم مع تفهمه والاحاديث الشريفة التي هي منبع الخيرات ، وكنز الاخلاق وروح التربية لاينضب معينها •• ترسم لنا المحجة في الحياة هذه المعادلة العجيبة الكاملة المغرية : اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا ، واعمل لاخرتك كأنك تموت غدا • وقال تعالى **ولا تنس نصيبك من الدنيا •**

وقال الشاعر :

ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا
واقبـح الكفـر والافلاس بالرجل

ـ اياك نعبد : اي لانعبد الا الله لا نشرك به احدا من الاصنام ، او الكواكب ، او بني الانسان • واذن فقد زال عن المواطن مركب الرعب من الطغاة الجبابرة •

ـ واياك نستعين : اي لا نستعين على مصائبنا ومشاكلنا الا بالله سبحانه وتعالى ، فنعتصم به ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، فتذهب ريحكم • ومن اعتز بغير الله ذل • فهو الذي يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين انعم عليهم غير المغضوب عليهم والعياذ بالله ، ولا الضالين • اذا أمعنا النظر في هذه السورة وجدناها أم القرآن حقا ، لذلك جاء وجوب استعمالها في كل ركعة ، وفي كل مناسبة من مناسبات الحياة ، مثل الزواج ، والصفقات والترحم على الموتى وغيرها •

الصوم رياضة روحية

واما الصوم فهو رياضة روحية كاملة • لاسيما صوم الخصوص ، فهو صوم العين عن النظر الى حريم الناس ، والكشف عن اسرارهم ، والتعرض لاحوالهم ، والتطلع الى ما لا يريدون ان يعرفه الناس عنهم فيجب ان يصوم عينيه عن زنى العين وعن كشف الستر :

فان ستروا عني تسترت دونهم
وان بحثـوا عني ففيهم مباحث

وجعل عينه تفطر على قراءة القرآن في العشـايا ، والليالي ، وسماع اختام الحديث ، والنظر الى المشمومات وجمال الطبيعة ! وتصوم أذنه عن سماع الكذب والافتراء والوقوع في اعراض الناس ، والنميمة ، والتمشي بين الناس بالفتنة • ثم تفطر اذنه على سماع القران ، والحديث ، والقصص الطيبة ، والموسيقى الدينية الرائعة ، وتاريخ الاسلام المدهش ، وعلى بث السلام بين الناس ، والقول الطيب ، والكلمات المعسولة الصادقة • قيل للجمل كيف تاكل « ضلف» الهندي وفيه الشوك قال : الرطوبة في اللسان ويقول المثل التونسي « الكلام الحلو ينفع في الدين » « واللي معندش عسل في اركانو يحطو على طرطوشة لسانو » ويقال في العراق «الكلام الحلو يخرج الافعى من زاغوريها (غارها)»

الحج

هو تطهير لما في العقل من جهل واوهام ٠

فالحاج اذا كان طالبا ـ وهذا اكثر ما كان يكون في السالف ينتقل من مدينة الى مدينة في طلب العلم من الاندلس الى المغرب ، الى الجزائر ، الى تونس ، الى ليبا ، الى مصر ، الى الحجاز ، الى الشام ، الى فلسطين ، الى العراق ، الى ايران الى ما وراء النهر ، لبيع الكتاب الذي هو المخطوط العربي النادر الجديد الظهور ٠ ويشتري ما ظهر في الشرق ويأخذ الاجازات ويحضر الملفات ثم هو يتعرف على جغرافية العالم الاسلامي ، جباله ، وسهوله ، وصحاريه ، وبحاره ، وبحيراته ، ومدنه ، وقراه ، وباديته ، وسكانه ، من بيض وسمر ، وسود ، وحمر ، صفر ، يتكلمون لهجات عربية مختلفة او لغات اسلامية من اعجمية اندلسية او بربرية أو تركية أو ايرانية أو كردية أو هندونسية أو سودانية وغير ذلك ٠ فيرجع عالما بعلم المسلمين والعلوم الدخلية ، ويتحول دماغه الى متحف بشري كامل القوة والعدة فهذا كسب روحي تزول به الاوهام ، والتصورات الخاطئة ، والاحكام المسبقة ٠

والحج هو تطهير ديني ، فالانسان يتغذى من مناهل الاسلام الاولى ويشاهد الروضة الكريمة ، وينجذب لديها ، وتذرف عيناه ، ويتطهر من ذنوبه ، ويسوي قضاياه ما بينه وبين ربه ، وبينه وبين الناس ، فيروه طاهرا كيوم ولدته امه ٠

وجاء علم التصوف الاسلامي بخرجاته وحلقاته ومدائحه نثرا وشعرا يرمي الى انصراف القلب الى الله وحضور الحضرة التي تكون فيهاحضرة الجلالة فلايراها الا المكاشفون لكن يتطهر فيها الحاضرون ٠ والشعر التصوفي كرائية شيخ العشاق عمر بن الفارض :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة
سكرنا بها من قبل ان يخلق الكرم

ملحمة تصوفية رائعة

وما قرات بالفرنسية اجمل من :

كتاب صغير وجليل يشتمل مقدمة سليمة في التصوف الاسلامي ٠ ثم ترجمة الرائية مع شرح النابلسي عليها ، فاعتقد ان مطالعة ذلك يدعو الى تطهير النفس من ادرانها ، وتطهير العقيدة من الشكوك والارتياب ، والمذاهب المستوردة التي ما انزل الله بها من سلطان ٠ والتصوف الاسلامي الذي هو مغذأ حسن تغذية روحية ليست فيه مكروبات الشك ولا السر الذي لايقبله العقل كالافخارستية التي هي اكل لحم يقرأ عليه القسيس وشرب خمر يقرأ عليه القسيس اعتقادا انها لحم عيسى عليه السلام ودمه ٠ وهذا بهتان وتاويل سيء لقول عيسى : كلوا واشربوا هذا لحمي ودمي فانما ارادها على المعنى المجازي اي ان هذا طعامكم المادي والروحي ، وهذا شرابكم المادي والروحي ، فالله اعطاكم الخبز وهو أجل طعام حتى أننا نسميه في تونس « نعمة ربي » وهو معنى لطيف جدا يدل في عبارة مختصرة على معنى عظيم ٠ فلا ننسى ان ٦٠ بالمائة من البشر يتضورون جوعا ،فاذا وجدنا نعمة ربي فقد وجدنا خيرا كثيرا٠ونسمي العمل في تونس « الخبز » بحسب ما يؤول اليه « اني اراني اعصر خمرا » ٠

ولما راى النصارى ان النصرانية التي ألت لديهم الى ما ألت اليه اقبلوا على دراسة التصوف الاسلامي فترجم المنقذ من الضلال للغزالي الى اللاتينية فاخذ منه ديكارت قوله : الشك اولى مراتب اليقين ٠

وأخذ منه منهاجه،وأخذ من احياء علوم الدين لكتابه الذي كان ترجمة للاحياء ، وأخذ القديس طاماس الاكويني الطريقة الشاذلية بالاندلس التي انتشرت هناك لدى المسلمين فأخذها النصارى من الاسبان والبرتغاليين حتى أن الرقعة الصوفية لديهم أخذوها برنة خاصة ، وهي الملة الشاذلية التي تنطق ـ « أليه » بتفخيم

السلام وجاء أ • بلاسيو فألف كتابه العظيم عن تأثير الشاذلية على الطوماسية ، وهو كتاب يجب ان يترجم الى العربية، ونفس الافلاطونية الجديدة التي ترمي الى التوفيق بين الدين والعقل ، فان الاوروبيين لم يأخذوها مباشرة عن ارسطو ، ولكن عن ترجمة ارسطو وشرحه لفيلسوفنا المغربي العظيم ابن رشد وهذا موضوع درس ومفروغ منه •

والحياة الروحية في الاسلام لا تتناول الفرد فقط بل تتناول الاسرة وهي عالم الانسان الخارجي الصغير ، والخلية الاجتماعية الاولى « وجعلنا بينكم ودادا ورحمة » • والمرأة هي أمنا وزوجنا ، واختنا ، وبنتنا ، فتلتقي في نفوسنا منها محبة الام ، « وبالوالدين احسانا ومحبة الزوج بينكم ودادا ورحمة ومحبة الاخوة » •

أخاك أخاك ، ان من لا اخا لـه

كساع الى الهيجاء بغير سلاح

وقول المثل التونسي « **خوك خوك لا يغرك صاحبك** »

لذلك يجب ان نصون هذا الكائن الضعيف الذي اوصى به النبي (صلى الله عليه وسلم) مع العبد ، « **اوصيكم بالضعيفين : المرأة والعبد** » وعندنا قصة تونسية نوردها لطرافتها : كان رجل على ابواب الموت فأوصى ولده : « واذا لزم باش تضرب مرتك ماتضربها الابعدما تكتفها من الاربعة فاستشار شيخا كبيرا كان صديق والده كيف يكتفها من الاربع ؟ قال : بان تلد معك اربعة اولاد • وهذه حكمة كبيرة •

ثم ان الروحيات تتناول المجتمع الاسلامي كله ، فالمسلم حر « **متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا ؟** » والمسلم متساند متراص مع اخيه المسلم « **المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا** » لذلك جاء الامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فالمسلم مسؤول عن المسلم في دينه ودنياه وهو نصيحة في الاثنين ، لان النصحية من الايمان وعلى هذا المبدأ قامت سياسة الدولة الموحدية في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الواجب على كل مسلم ، ليس من خصوصيات الامير وحده ، او المحتسب فقط ، على ان المحتسب هو عون تنفيذ ، ويحتسب على من جل وعلى من قل فهو يحتسب على الامير وعلى القاضي ، وعلى الامام ، وعلى الاسواق ، وعلى المكاييل ، والمقاييس ، والموازين ، والغش والسعر ، لذلك سمي في الاندلس صاحب المدينة ، اي هو البداية والنهاية من حياة المدينة ، في بيوتها واسواقها ، ورحابها، وحراستها، ومبيعاتها ، ونظافتها المادية، والادبية وسلامة عامة امورها • وألفوا في ذلك كتب الحسبة العامة والخاصة • وكانت الحسبة مدمجة في كتب الفقه فاخرجت منها وافردت بالتأليف كمعالم القربى في الحسبة لابن الاخوة الاندلسي ، وكتاب الحسبة للسقطي ، وكتاب الحسبة لابن عبدون ، ثم اخرجت من الحسبة احكام خاصة كاحكام السوق ليحي بن عمر دفين سوسة وترتيب السماسرة للابيا في دفين حمام الانف ، وكتاب المعلمين لمحمد بن سحنون وكتاب المعلمين لابي الحسن القابسي ، واحكام البناء لابن الراعي الاندلسي ، واداب القضاة لكثيرين ، واداب الوكيل لعيسى بن مسكين وهو أول كتاب في القانون الاساسي للمحاماة ألفه عيسى بن مسكين سنة ٢٦٤ هـ - ثم حتى الملوك لم يطلقوا على عواهنهم ، فألف الطرطوشي الاحكام السلطانية والف ابو حمو موسى الثاني ملك تلمسان اجل كتاب في سياسة الملك ، وتولد من ذلك في اوروبا ادب جديد يسمى بالفرنسية مرآة الامير وهو يعد بالعربية بالمئات (انظر : كشف الظنون لحاجي خليفة) وحتى نصيحة الاباء للبنين صارت بابا جديدا من ابواب التربية والتهذيب (انظر : كتاب ايها الولد للغزالي) ونصيحة محمد ظريف التونسي لولده ، وقد طبعناه في اخر تاريخ ابن الشماع للدولة الحفصية وترجمته الى الفرنسية •

وحتى اداب الكتاب فقد الف فيها عبد الحميد الكاتب صفحات رائعة • وتشمل رسالته الجانب التقني والجانب الروحي من الزمالة والاخوة في المحنة او مراعاة شيخوخة

الزميل • وهي من اجود ما يوجد وانتهت القضية في تطورها الى كتاب صبح الاعشى للقلقشندي •

ويجب أن نقول ان تربية المسلم في حياته الدنيوية والاخروية تتلخص في الحديث الشريف : « اذا مات احدكم انقطع عمله الا من ثلاث : ولد صالح يدعى له من اجله ، وكتاب علم ينتفع به من بعده ، وصدقة جارية » •

فالولد الصالح الذي يدعى له من اجله جعل المسلمين يهتمون بتربية ابنائهم وبناتهم ، وكان اليونان والرومان وغيرهم من الامم القديمة يوكلون ذلك الى العبيد • فاما المسلمون فالفوا الكتب في التربية اقتباسا من القران ، والحديث ، واصول التربية ، واقوال الفلاسفة ، والمربين ، والقصائد الحكيمة ، والقصص التربوية التي على السنة الحيوانات كلقمان القليوبي ، وكليلة ودمنة ، وغيرها • فتكون من ذلك ادب كامل اقتبس منه الاوروبيون فاقتبس لافونتين من كليلة ودمنة والاسباني غراسيني من الغزالي في قصة الحيوانات التي تألبت على الانسان وأقر الاسلام المساواة بين الناس :**لافضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى•** لذلك رأينا القرن الاول لا ينتهي بعد حتى اسلم كل البربر واقبلوا على الجهاد مع المسلمين : كسيلة ، طارق بن زياد فاتح الاندلس ، وصاروا يتزعمون الموسيقى ، فقد كان ، الغريض البربري موسيقار السيدة سكينة رضي الله عنها ، وذلك في نهاية القرن الاول وكان المحرر البربري من اكبر الكتاب والخطاطين ، وصارت مدرسة للنحو مغربية اندلسية (انظر : طبقات النحاة للثربيدي) ومدرسة فقهية مالكية ومدرسة اباضية (انظر عياض المدارك والدرجني طبقات الاباضة) • والحقيقة هي ان الاسلام امبراطورية ، فيها لكل مواطن امبراطوري نصيب كامل في الحقوق والواجبات• فقام كل من اعضاء الامبراطورية ، من البربر ، والزنوج والحبشيين ، والعرب ، والايرانيين ، والاتراك والصينيين، والهنود ، والهندوسيين وغيرهم بأعباء السياسة ، والعلوم ، والاداب ، والفنون ، والمعمار في تساو بينهم • لذلك لم تعش الامبراطورية الرومانية الا ستة قرون لظلمها وعاشت الامبراطورية الاسلامية اربعة عشر قرنا •

والسياسة الاسلامية مبنية على دولة الله التي دستورها القران الكريم ، والحديث الشريف ، وحكمها الفقه واصول القضاء وديدنها الشورى « **وامرهم شورى بينهم** » فالقاضي له مشاور ، هكذا كان يسمى ببجاية ، وتلمسان ، والاندلس والوزير له مشاور • وقال تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم « **وشاورهم في الامر** » وتسمى دار الدولة بتلمسان المشور من الشورى •

ثانيا البعد السياسي •

وأما السياسة الاسلامية الخارجية فتقوم على مبدأ «لا اكراه في الدين » ونظام الذمة الذي شوه معناه النصارى واليهود نظام تلتزم بمقتضاه الدولة الاسلامية للذمي بحفظ امنه ، وماله ، وحرمه ، ودينه ، مادفع الجزية التي هي مايلزم من مال للنفقات التي تستوجبها الشرطة والامن لحفظ الارزاق والاموال ، والاعراض ، والاديان فاذا اخلت الدولة بشيء من ذلك لحقها الذم كما يقول الطرقي : عاري عليك ياسيدي عبد القادر • وهذه العقدة هي التي تسمى أخر عقدة الولاء المسلم يعتبر خلق الله اخوة له :

(ماللتشاحن والبغضاء بينكمو
وانتمو يا عباد الله اخوان)

حضرت مؤتمرا بسبوليطو بايطاليا سنة ١٩٦٤ في افريل وكان موضوعه : هل دخول العرب لاوربا كان خيرا كله او شرا كله ، او بعضه خيرا وبعضه شرا • وحضره نواب عن سبعين دولة ، فاتفق الجميع ـ ماعدا ستيرين الاسرائيلي ان دخول المسلمين اوربا كان خيرا كله فسبحان الله العظيم •

ومليحة شهدت لها ضراتها

والحق ما شهدت به الاعداء

وذلك ظاهر لان المسلمين ادخلوا نباتات جديدة :

١) اشجار مثمرة لم تكن معروفة كالنارنـج ، والليم ، والليمون ، والاترج ، والخروب ، والزعرور •

٢) ونباتات صناعيـة كقصب السكـر ، والزعفران ، والتوت الخاص بدود القز •

٣) وأشجار غابية مثمرة ، كالقسطل والجوز ، والفستق والبندق ، وابي فروة ،

٤) وادخلوا زراعة الارز ،

٥) والنباتات العطرية كالعطرشاء والانيسون والشونيز السينوج والبسباس والفودنج (المنتهى) واللويزة والطرنجان والزيزفون (التيلو وخضرا مختلفة كالارضـي شوكي والاسبارج والسلق الخ •••

وادخلوا اساليب فلاحية جديدة ، وجلبوا ازهارا لم تكن معروفة كالعطرشاء وشب الليل (نوار عشيه ، والسوسن والليلك والياسمين والفل والخيري وجلبوا علم التقطير أي ماء الزهر • وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم قال : **من ذهب منكم الى الجامع فليتعطر وليتبخر** • فانبرى الفيلسوف الطبيب الكندي يضع تاليفا عظيما في العطور وصناعتها قد نشره بعض الالمان وترجمه الى اللغة الالمانية مع التعليق • وادخلوا الى اوربا البخورات التي منها الجاوي اللبن الجاوي ومنه جاءت كلمة بنزين •

وجلب المسلمون من امريكا وادخلوا الى اروبا الطماطم (مطيش ـ توماطيش ، والبطاطا ، والدخان ، والقطانية (الـذرة) والقمح العربي (التركي هـو العربي) الديك الرومي الذي هو في الحقيقة الديك الهنداني لان في الحقيقة الديـك الهنداني سردوك الهنـد لان كولومبوس عندما وصل لامريكا اعتقد انه الهنداني وصل من الغرب فسمى ساكنها الهندان والصبر والتين الشوكي ، والهندي لنفس السبب ، وقرع بوطزينة الذي يسمى في الجزائر الجريوات وبالمشرق الكوسة

ونقل المسلمون البيض والسود الى أمريكا القهوة العربية والسكر العربي ، والقمح ، والحصان العربي ، والمعمـار العربي في كافة الجمهوريات ما عدا الكاندا •

وادخل المسلمون الى اوربا ادويتهم ، ومقطراتهم ، ومواد الزينة النسائية مثـل الغالية ومثـل الاكسير ومثل الهوزينج وهو دواء من لوز مخلوط بعقاقير جلاء للصـدر وسكر بشكل لوزي ، وذلك سمى الشكل اللوزي (المعين) • ويطلق على الشكل والدواء معا •

وأدخل المسلمون الى أوروبا أشغال الري، من السدود وقسمة مياه الانهار على الواحات ، وبناء البرك (بركـة الاغالبة بالقيروان) والحنايا والقنوات ، والسيارات من ذلك الفوارة والحنايا بصقلية ، وتوزيع المياه ببلنسية ، وقرطبة واشبيلية وطليطة ، وايجاد محاكم عرفية للمياه وقد وقع مؤتمر لدراسة هذه المؤسسة العربية في مدينة بلنسية ، دعي اليها مسلمون ، فكان اعجابهم اشد من اعجاب غيرهم ونسوا نظام حماة • وحمص • ودمشق الذي منه نظام درنة في ليبيا ، ونظام قابس لابن فلاح ، ونظام تورز ، ونفطة ، ودقاش في الجريد التونسي لابن الشباط التوزري ، ونظام سيبوس بعنابة ، ونظام المسيلة ، ونظام بسكرة ، وميزاب وشلف ، ووادي فاس ، وطوجين ووادي الرحا بوهران • ونظام وادي الارويط بتلمسان الى ان نصل الى بلنسية بالاندلس ، والالفاظ المتعلقة بالري كثيرة ، في الاسبانية ، والبرتغالية ، من ذلك زوبية مكان فيه ماء كثير ، الضفة ، الجعفينة ، الدفة ، باب الخزان ، الدور ، الحصة التي تنوب كل مستحق للماء ، القادوس قناة الماء ، الناعورة الرافعة

للماء ، طاحونة الماء ، ناعورة الطواحني الساني ، الساقية ترعة صغيرة للري ، السقاء وهو حارس ترعة السقي .

وبالاضافة الى التجارة ، اختص المسلمون في طريق التوابل من الصين ، الى الهند الى اوروبا ، وافريقيا وطريق الزعفران منذ عهد الفاطميين تقول اغنية الاطفال :

ياجميل بوك على الفاطمي

ويـن تمشي ويـن تجي

تمشي طريق الزعفران

ولهـذا عـرف الزعفران في اوروبا باسمه العربي

وكذلك اختصوا بطريق الحرير ، واختصوا بصناعة الشاشية ، وصناعة الملف والطراز وكان الاسطول الفاطمي في البحر المتوسط والبحر الاحمر (بحر القلـزم) وبحـر مانيطلش وبحر قزوين ، والخليج العربي ، وبحر القلزم (الاحمر) وبحر الهند والصين : وحده الموجود ، ووحده الشاري ، ووحده الموزع ، ووحده البائع . فهذه طبعة ثانية لما كان عليه الاسطول البونيقي في العصور القديمة .

والاسطول الاسلامي مجهز بالدقة والبوصلة والاسطرلاب لتدقيق خطوط الطول وخطوط العرض ، والراهنامج اي الخريطة البحرية كما هو الحال في مرسى **القالة** الى الان ، ومرسى بجاية الحمادي ، ومجهز بالمشرف وهو رئيس المرسى والديوان ، والديواني ، والمقصود بالديوان ديوان البحر الموجد عند باب البحر ، وبالترجمان ، وبفنادق القناصل الذين هم رؤوساء التجار الاجانب (شاهبندر) وبالمنادين والسماسرة ومن الكلمات المختصة بالتجارة التعريفة والطرح في المكيلات ، وهو يطرح وزن الكيال ، او الطرح الحاوي من الجملة لمعرفـة المحتوى ، والكـراء (اسبانيـة) وهي بطاقة فوق عربة للاعلام على انهاء للكراء ، ومن المكيلات الكأس ميكال للخمر ، من العربية المحتسب لمراقبة الموازين، والمكاييل ، والغش في البضاعة ومن أسماء العقاقير السونيز والشب والسيناف والخردل والزنجفير .

ومن الفاظ الديوان من العربية القبالة من الفارسية كابا له فرنسية وهي مكس على الابواب ، أو الاسـواق ومن الموادالنسيجية القطن و المريني اي اغنام بني مرين ، التي لها صوف حريرية ممتازة . ومن اسماء الاقمشة الموصلية .

وقد ترجم بعضه في مجلة « اللسان العربي » .

وللتجارة اعوان تجارة ، ومسافر تجارة ، يسمون بالعربية راهدان اي صاحب الطريق ، اي الموكل بالطريق ، من اقصى الصين الى اقصى اوروبا راهدان موجود بالطريق وسوق لارهادرة او الرهادنة من ضمن الاسواق العربية في كبريات المدن كبغداد ، والقاهرة ، والقيروان . ولا شك تلمسان ، وفاس ، وقرطبة ، بلا خلاف .

والرهدان يبدأ رحلته من الصين من مدينة زيتون الى المانيا (نورنبيرغ) والى روسيا (كياف) منتقلا من بلد فيه جالية مـن بني جنسه ينزل عليهـا ، ويعطيها الاخبار وماجد من المبيعات او اخر ما ظهر من الكتب وينتقل الى التي مابعدها الى نونبيرغ وبولونيا وكياف (الروسية) وفيلاندا . والذين يتولون ذلك هم يهود من الخزر قـد أسلموا في البعض وبقي البعض . والمسلمون أول من سن قانونا تجاريا ، وقانونا بحريا ، وقانونا للاسواق (أحكام السوق ليحى بن عمـر) وأعطوا في بيان انعقاد الاسواق اكبر رخصة اقامة في دار السلام .

انظر عن كل هذا متيز حضارة العرب في القرن الرابع . ترجمة الدكتور عبد الهادي أبو ريدة .

ـ والجاحظ : التبصر بالتجارة .

– وكتب المسالك والممالك : ابن رستة ، اليعقوبي ، ابن حوقل ، والمقدسي ابن جبير وغيرهم •

– وجرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي •

– كرد علي : خطط القاهرة ••• الخ

وابتدع المسلمون في التجارة الصك والحوالة •

وقرر ابن خلدون أصول التجارة في مقدمته • فمن ذلك نظرية الغرر وهو ان البضاعة كلما كانت اكثر استهدافا للاخطار كانت اغلى ثمنا • واعدوا المسالك التجارية البرية والبحرية وأسسوا لها الفنادق والاربطة ، والمسافر خانات • وجعلوا المسافة من الرباط الى الرباط ٦ كلم • من طنجة الى الاسكندرية • والرباط هو مكان يسكنه المرابطون لحراسة الثغور ، والعناية بالمسافرين ، وتزويدهم وضبط بريدهم ، بحمام الزاجل ••• الخ •

فالمسلمون ربطوا تجارة العالم من جزائر واقواق ، (اليابان) ومن سيبيريا الى امريكا التي اكتشفوها قبل كولومبوس (وكولومبوس نفسه كان مرفوقا بملاحين مسلمين لهم خرائط مضبوطة • وانظر ما كتبه البكري في المسالك والممالك عن قضية المغاورين الذين كانوا في أشبونة فيسافرون بحرا الى الغرب ، ويدوم سفرهم عاما ، واقامتهم عاما ، وروجوعهم عاما ثالثا ، ويأتون بأناس حمر الجلود ، سبط الشعور ، يتكلمون بلغة يعرفها المغاورون ، ويترجمون عنها • ووجدت النقود بشمال اوروبا ، وشمال اسيا ، مما يدل على مدى تجارتهم • وفوق كل ذي علم عليم • لاشك ان الثروات الطائلة التي جمعها المسلمون من الفلاحة ، والصناعة ، والتجارة التي احتكروها ، لها اثرها الواضح في مجتمعهم ، في قصورهم الفخمة ، وأبنيتهم العجيبة (انظر وصف قصر بلاره ببجاية لابن حمديس)وجوامعهم (القيروان قرطبة ، جوامع الجزائر ، والمغرب ، ومصر ، والشام ، والعراق والاندلس ، وصقيلة) وفخامة اسواقهم (القيروان سوسة ، صفاقس ، تونس ، عنابة ، قسنطينة ، بجاية ، وهران ، تلمسان ، الاندلس ، القاهرة ، (خان الخليل) ، دمشق ، حلب ، اصبهان ، طهران ، سمرقند ، بغداد) • وانظر مبلغ تظرفهم في كتاب الوشاء : « الظرف والظرفاء » وهو ابدع كتاب في الموضوع وانظر قصص الف ليلة وليلة التي تعكس صورة واضحة دقيقة عن الترف • وانظر روعة حفلات المسلمين التقليدية ، والدينية التي هي من الترف والطرافة بمكان • فكان المسلمون يبيعون ، ووحدهم يبيعون ولا يشترون •

فجاء الرحالة البرتغالي فاسكودي جاما واصطحب رائدا ملاحا اندلسيا ، مر به من رأس الرجاء الصالح ثم التحق بالخليج العربي ، وهنالك التقى بالملاح الكبير ابن ماجد وصاحبه ابن مهري وهما اميرا البحر العربي والهندي والصيني فأرياه الهند والصين أي طريق التوابل والاقمشة•

(وكم علمته علم القوافي

فلما قال قافية هجاني)

ويقول المثل التونسي : علمو الصلاة سبقو للجامع • ويقول اخواننا المشارقة : علمو الشحاتة سبقو على الابواب العالية • فانتقلت التجارة الخارجية الى البرتغاليين سنه ١٥٣٧ • ومات الاسطول التجاري العربي ، ثم مات احتكار البيع ثم ماتت الاسواق التي تولاها اليهود البرتغاليون من اهل ليفورتو ، ويسمون بالجزائرية قورنة وبالتونسية قرنة وقرانة ، وسوقهم بتونس تعرف بسوق القرانة • فتحولنا الى البيع بالتفصيل مع النسيئة والفوائد الباهظة فافلس المسلمون ، وضعفت حالهم، وباعوا قصورهم وخرجوا من ديارهم •

وتحولوا من مصدرين الى مستوردين ، لايبيعون ، ولكن يشترون بالنفقة الموجعة ، كما يقول الجاحظ ، فصار لهم نزف دموي ، أعدهم للاستعمار ، وللجهالة ، وللمرض وللاخلاق السيئة ، ويقول المثل التونسي اللي مدخولو خماسي ، ومصروفه سداسي ، ما يموت الا يساسي •

وبقي ذلك الى مابعد الحروب العالمية الثانية ولاسيما بعد استقلال الجزائر • فانعم الله على المسلمين بخامات البترول والغاز ، والارصدة الذهبية واحتكار المواد الغذائية فصاروا يبيعون ولا يشترون •

لذلك قلت في الجريدة « المجاهد » الغراء في ٣١ يوليو ١٩٧٣ « الثلث الاخير من هذا القرن تكون فيه السيادة للمسلمين » وكما يقول المثل : اللي عندو الذهب يلعب كيف ما يحب •

فالاسلام الذي كان كله تحت الاستعمار ، وكان يورد ولا يصدر « فيبيت رطلا ويصبح اربعة اواق » فقد استقل – ما عدا فلسطين الشهيدة وهي في كل يوم تقترب من استقلالها فالاسلام يملك اليوم مصيره بيده ، وسياسته في قبضته كفه واقتصاده رهن اشارته ، وتعليمه وفق ما يسن من برامج ، ومشاكله المتولدة من أزمات النشوء هو بصدد حلها جماعة في كل يوم •

والاسلام اليوم ذاهب الى وحدته ، والى تبوء مقعده من الشمس ، على كرسي من ذهب ، وهاج ، وترصيع بالعاج •

بقي امر : هل الاسلام الذي راريناه ، روحيا وعقليا، وسياسيا ، واقتصاديا ، واجتماعيا ، هو ايضا تقني ؟

لقد طرقت أذاننا لفظات تقني وتكنولوجيا ، وتكنيك وما أشبه ، فأقول ، معتمدا على الله تعالى : ان الاسلام هو اول ديانة تقنية جامعة في الدنيا • وعلي البيان :

١ – تقنية الصلاة : الصلاة اولا طهارة – طهارة بدن اوجدوا لها الميضاة ، والحمام العام ، والمنزلي ، والمغاطس والمسرب (دوش) • واجدوا لها الكاسة التي يحك بها البدن والمحكة التي يحك بها الظهر • واخترعوا من أجلها الصابون الذي ما كان يعرفه الرومان ، ولا اليونان ، واوجدوا لها المناشف والبشاكير وأدوات الحمام ، أعني السطل والطاسة والطافلة • واوجدوا لها التعطير •• لقول النبي صلى الله عليه وسلم « من ذهب منكم الى المسجد فليتعطر ، وليتبخر » فاستحدثوا الات التقطير ، واوجدوا سوق العطارين متكئة على الجامع كسوق وظيفية بالاضافة اليه ، وألفوا الكتب في ذلك • منها : كتاب العطور للكندي ، وهو كتاب جليل • وكتاب تحفة العروس للتيجاني التونسي وكتاب جيب العروس وريحان النفوس لمحمد بن احمد بن الخليل بن التميمي المقدسي •

وأهم مرجع سهل التناول ، هو الجزء الثاني عشر من نهاية الارب للنويري ، وهو في اصناف الطيب والبخورات والغوالي والندود • والمستقطرات كماء الزهر وماء الورد ، وماء النسرين ، وماء القرنفل ، الى غير ذلك ، وهي ما يرش به ، عادة ، في البيوت ، والجوامع ، والمحافل ، والادهان ، وهي الزيوت المعطرة ، كزيت الياسمين ، التي تعالج بها القشرة ، والنضوحات ، وهي العطور التي تصب على اليدين والبدن ، من طالع هذا الجزء راى العجب من دقة الحضارة الاسلامية • وكل هذا تقنيات ، لاننا لم نخرج في ذلك عن الكيمياء اي عن الامبيق والقابلة •

وعانى المسلمون الامرين لجلب البخورات من أقصى الدنيا ، فجلبوا اللبن الجاوي من جاوة ، والقماري من بلاد القمر أي كامبوديا فالصابون والعطور والطفل المعطر هي أساس النظافة والتقنية •

ثم ان الصلوات منها ثلاث ليلية ، واثنتان نهارية ، والليلية تحتاج الى استصباح ، فاخترع المسلمون الشمعة والشمعة قد تطفؤها الرياح بين البيت والمسجد ، فجعلوا لها فنارا واقيا ، لذلك نجد سوق العطارين مقابلة من الشرق لجامع الزيتونة وسوق الشماعين مقابلة للعطارين ، وسوق الفنارية (ح• فنايري صانع الفنارات الواقية للشموع) في الجدار القبلي من جامع الزيتونة • واكتشف المسلمون الاستضاءة بالنفط في صقلية واخترعوا الوقيد بصقلية أيضا ، فانتشرت في العالم • وذكر دوزي في ملحق المعاجم العربية الوقيد والوقيدة •

ونحن نختار في ترجمة اللفظ اعتقادا منا أنه من أصل اوروبي بينما هو عربي فصيح ، ومغربي صميم ، اصيل ، أنيق ، ومن اختراع المغاربة أيضا ، وهو بطبيعة الحال من ضروريات ايقاد النور في الجوامع ـ فهو من تقنيات الصلاة·

ونصل الى بيت القصيد وهو ان اهم الة لمعرفة اوقات الصلاة في الليل والنهار ، وهي الساعة التي اخترع لها اسما عربيا وهو الميقانة ، والميقانة ، منه المنقالة بالتونسية فقد اخترعها العباس بن فرناس التكرتي ، القرطبي ، البربري · وهي ساعة بالزمبالك ، بعد ان اخترع المسلمون الساعة المائية التي هي الطرجهارة ، ولنا صورة منها في تلمسان الزياتية ، وقد وصفها لنا يحيى بن خلدون في كتابه بغية الرواد في تاريخ الملوك من بني عبد الواد · وأخرى مالطية قد وصفت لنا في كتاب دمية القصر لحمزة الاصفهاني · وتوجد هذه الساعات في بعض جوامع فاس ، ودرسها لنا العلامة المغربي الدكتور عبد الهادي التازي في مجلة المجمع العلمي العراقي · ثم اخترع المسلمون ساعة النقالة والبندول المسماة بالتكوك ، وهي جدارية ووضعوها في الجوامع ، وعندنا مثل منها في جامع تستور ، عاصمة المدن الاندلسية بتونس لا تزال ماثلة في صومعتها وأرقامها عربية·وهي تسير من اليمين الى اليسار ١١ـ١٢ـ١ ، لان اليسار الى اليمين ١ـ١٢ـ١١ ،ثم لما فتح المسلمون جنوب فرنسا الغربي ، ودخلوا وادي الرون ووصلوا ليون تركوا بها صناعة الحرير ، ثم بلغوا سويسرة فتركوا بها الساعة · وكتب العباس بن فرناس ابياتا على هذه الساعة التي اخترعها منها :

الا انني للدين خير اداة

اذا غاب عنكم وقت كل صلاة

وصومعة الجامع هي اداة للاذان ، ولكنها مرصد مجهز بالالات الفلكية ، والازياج ، والاسطرلابات لضبط الوقت والقيام بمعرفة مداخل الشهور ، وسير الاهلة التي نعرف بها مداخل الشهور ، لصيامنا وافطارنا ، وأعيادنا ، وعامة مواسمنا · هكذا كان جامع الزيتونة بتونس ، وهكذا لا يزال بعض جوامع فاس ·

ومن تقنيات الصلاة معمار الجوامع الذي نموذجه الاول جامع القيروان (سنة ٥١ هـ) بناه عقبة بن نافع ، كجامع وقلعة لحراس المدينة ، واعداد فتح الجزائر والمغرب الاقصى ، فصار جامع الزيتونة نفسه جامعا ، وقلعة ، به أربعة أربطة ، في كل ركن رباط لحراسة ثغر تونس وحول الجامع اسواق السلاح « السرايرية » « القنداقجية » اي الذين يصنعون القسم الخشبي من البندقية ، و « الزنادية » الذين يصنعون القسم الحديدي ، فعندما ياتي الخبر على طريق الحمام الزاجل بان اسطول العدو قد لاح في الافاق يصعد ١٢ مؤذنا الى الصومعة يؤذنون في غير وقت صلاة ، ثم ينزل كل مؤذن الى الباب المختص به فياتي الناس ويخطب فيهم الامام بالجهاد ، فينزلون الى السرائرية ، والزدانية لتناول السلاح ، ولا يبلغون باب البحر الا وهم مدججون · فانظروا هذا التخطيط العجيب الذي هو عام في جوامع العواصم او جوامع المدن الساحلية ناهيك ان جامع الخالصة بمدينة بالرم العربية قد تحول الى كنسية سانت أنا اتكات على جدراه سوق العطارين ، وكتب عليها في لافتة البلدية · « سوق العطارين » وهكذا تسمى بتونس ·

ثم ياتي معمار الجامع الذي لم يأخذ شيئا من معمار الكنيسة، واضاف اليها القبة التي هي لاضاءة الامام المقصود بالذات . فلهذا اول ما وجدت في جامع القيروان ، وفيها توق من الجص ، المفرغ ، المرصع بالزجاج الملون ، حتى لا يكون النور ساطعا ، باهرا فما دخلت الكوة المساة شمسية الكنيسة مع القبة الا عن طريق جامع القيروان · فالجامع الاموي بقرطبة الذي هو صنو القيروان ، ثم كنيسة القديس يعقوب القمبوشتالشنت ياقب الحواري المبنى باسبانيا

ثم كنيسة نوتردام بباريس • واخترع المسلمون المحراب لفرز الامام ، واظهاره ، وتصويره حتى يراه المأموم ، ولتضخيم الصوت ، لان نصف تكويره يضاعف الصوت عدة أضعاف أليست هذه تقنية ياخواني ! وشيء اخر اذا نظرنا في اعمدة الجامع وجدناها متساوية الابعاد عن بعضها

بحيث انها تقابل المحراب في اي زاوية من الجامع كان المصلي • فهو يرى الامام الذي هو بيت القصيد • ثم فكر الناس في جلب الماء الى الجامع ، وبالتالي الى المدينة ، على الحنايا ، وهذا يحتاج الى تقنية ما عليها من مزيد ، مثلما فعل المستحضر بالله الحفصي في جلب الماء على الحنايا من زغوان الى تونس (٧٠ كلم) وتوزيعه على مدينة تونس واحوازها •

الجهاد : كان الجهاد الاسلامي الاول يعتمد على السيف ، والقوس ، والرمح والحربة ، ولا مزيد ، فلما جاء الاسلام استعمل ذلك في صدر الملة ثم حول الرمح الى بلطة وهي رمح فيه زج ، ثم جاؤوا الى القوس ، وحولوها الى قوس البندق والى قوس الرجل • ثم اخترعوا الاسلحة النارية من القريوس وهي البندقية الاولى ، والمدفع ، وكان ذلك بالمهدية ببيت الكيمياء على عهد الصنهاجيين ، عندما هاجم الاسطول النرماني هذه العاصمة الاسلامية الكبرى فرماه المدفع بالقنابل ، وذلك ظاهر في شعر ابن حمديس ، وهو كثير الورود في ديوانه وكان ذلك سنة ٥٠٥ هـ فلا عبرة فيما يقوله الافرنج من ان المدفع اخترع في معركة كريسي بين الفرنسيين والانكليز في حرب المائة سنة •

واما حرب البحر فقد جهز لها المسلمون النفاطات ، الحرقات ، وهي سفن مجهزة بالنار الفارسية

ج – زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي – باب العسكرية –

ثم جاءت النفاطات وهي سفن ترمي النفافيط ، اي انابيب مملوءة بالبترول والبارود ، فتقنبل الاسطول المقابل واهتموا بالحصون فبنوا الاربطة على طول السواحل ، من طنجة الى الاسكندرية فهناك ١٠٠٠ رباط في مسافة ٦٠٠٠ كلم ، أي بين الرباط والرباط ٦ كلم • وألف يحيى بن عمر كتاب أهمية الحصون والمرابطة في القرن التاسع ، وجعلوا في القلعة المسقط وهي جذوع فارغة وملآنة في قاعة قوبة فوق المدخل يقف النفاط على جذعين ملآنين ، ويصب الزيت الحامية ، أو النفط الملتهب من الجذع الفارغ على المهاجمين •

واخترعوا الحسك وهي سكاكين مركبة في شكل شبكة فيها خيط ، وعروة ، فاذا انجذب الخيط وبالعروة ، انغلقت السكاكين ، فقطعت الارجل والايدي بدون رحمة وقد كتب عن ذلك المهندس – لويتي – في كتابه المهدية التي بها ثمانية ابواب من الحسك ، وست مفروشات من الحسك ، فلا سبيل الى اجتيازها • أليس كل هذا في منتهى التقنية ؟

الحج : الحج سفر بري وبحري ، فالسفر البري يحتاج الى طرقات معبدة ، ومسافر خانات ، وفنادق ، وأدلة من الناس ، ومن الكتب • فأدلة الكتب هي في غاية التقنية تبين المسافات والمشاهدات ، والمزارات ، والمكاييل ، والمقاييس ، والنقود ، والمبيعات ، فيتعلم منها سبيله والجغرافيا ، والتاريخ ، وتمصير المدن ، وعلم طبقات البشر ، الى غير ذلك •

ولضبط المسافات بخطوط الطول ، وخطوط العرض ، حررت مقاييس الخطوط في تونس ، وليبيا ، فجاءت محررة بغاية الدقة ، بما لا يخالف ما وصل اليه الحساب المعاصر ، الا بدقائق ، وأحيانا بثوان ، وجهز الحاج بالاسطرلابات ، وبوصلات معرفة القبلة ، حتى يعرف من تقاطع الطول والعرض المكان الذي هو فيه ، بالاضافة الى مكة ، والى مكان

انطلاقه • وجعلت المآكل المناسبة للحاج ، مـن غليط ، وبشماط ، وقديد ومسلي **وبنادق** ومصبرات تحتمل المدة الطويلة ، وصنعت له السحارة ، وهي صندوق خاص ذو أدراج ، كل درج لغاية من الغايات ، وبها مفاتح سرية بالارقام ، وجعل له اسبوط أو الكمال وهو جلدتان مخيطتان يخيط فيما بينهما نقوده ، فلا يستطيع أحد أخذ شيء منها •

فترى كل هذه التقنيات من أجل طريق البر ونظمت قوافل الابل بالمرازيق بالاضافة الى تونس ، فأدلة المرازيق المقتصين بتربية الابل للحج ، وقطع الصحراء يجهزون لمن شاء ، قافلة كاملة ، بابلها ، وحداتها ، ومائها ، وغذائها • وخيامها مقابل مال معلوم • وللقافلة أمير الحج ، ويكون في الغالب من الاشراف • ثم للحج كتاب مناسك ،وكتب المناسك كثيرة وهي تبين له شعائر الحج ، وطرق أدائها ، وأوقاتها ، وما يجب فيها •

فهذه هي تقنية البر • ثم هناك ما يسمى بالتشويق ، وهي حفلات دينية محمسة تتألف من مدائح الرسـول ، والحرمين الشريفين ، والكعبة ، وعرفات ، ومنى ، وغيرها من المزارات ، وتلاوة القصائد الواردة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، كالبردة ، والهمزية ، ورائية ابن الفارض وتائيته ، وغير ذلك • وتقع حفلات مبائت (ج• مبيتة وهي سهرة ليلية في زاوية ، أو جامع ، أو دار ، لهذا الشأن ولهذا الغرض) •

أما الرحلة البحرية في الغرب ،فقد اخترع لها المغاربة سفينة خاصة تسمى المكية • ذكرها دوزي في ملحق المعاجم ج٢ ص ٦٠٦ ، وهي لا شك مجهزة بالبوصلة لاجتناب السحل حتى تستطيع مخر البحر بالليل والنهار على السواء ، وبالدقة ، حتى تستطيع أن تحمل ٣٠٠٠ حاج بأغراضهم ، مع المرافق ، وبالاسترلاب لمعرفة مواقع الامكنة ، وبالخريطة البحرية المسماة داهنامج ، فأنت ترى أي شوط قطعته البحرية الاسلامية من أجل الحج ، فقد بلغت بالسفينة الغاية القصوى •

الصوم : الصوم فيه تقنية ، وهو رؤيا الهـلال ، والحساب اللازم لذلك • فحول المسلمون الصوامـع الى مراصد ، علاوة عن المراصد ذاتها ، مجهزة بالالات المكبرة ، والمقربة والضابطة لمسالك الكواكب ، حتى لا يقع اختلاف الرصـد •

وأوجدوا المراصد الكبرى بسمرقنـد ، وبغـداد ، ودمشق ، والقاهـرة ، وتونس ، والجزائـر ، وفاس ، والاندلس • بعمليات حسابية تسمى أزياجا ، وزايرجات ، والصحيفة الى غير ذلك من الاسماء • وعملوا الاسترلابات المختلفة ، والالات المصورة للسماء ، المرسومة فيها النجوم ، والشمس والقمر ، تتحرك تحركا طبيعيا ، حتى يعرفوا منها بدقة أو على سبيل التقريب ، مسالك النجـوم ، ومواعيدها • وألفوا كتبا في ذلك ، حتى أن أحدهم ألف كتابا أسماه التقويم العام لخمسة آلاف عام • فوصلوا الى حسابات كبرى ، وتحولوا من علم النجوم الاستطلاعي للغيب الى علم النجوم الحسابي ، العلمي ، التقني ، المبني على المشاهدات ، ودراسة النجوم في مسالكها ، ومحاولة معرفة أجرامها ، وأبعادها ، ومواعيد كسوفاتها وخسوفاتهـا فتوصلوا بذلك الى معرفة استدارة الارض وحركـات دورانها حول نفسها وحركات الانتقال حول الشـمس وحركاته في جملة المجموعة الشمسية ، فاكتشفوا المجموعة الشمسية قبل كوبرنيـك ، واكتشـفوا حركتي الدوران والانتقال قبل غاليلاوو غاليلاي •

وسنطرق هذا الموضوع بمزيد الاطناب في حديثنـا الاخـر •

ورمضان احتاج الى ـ مسحر ـ أي الى انسان عنده طبيلة صغيرة يطوف على الازقة ، ويطرق الابواب ، وينادي أرباب الديار : « يا سي فلان ، قوم للسحور ، يجعل معاك الله والرسول » ويسمى في الاندلس الدقاق ، وفي المغرب النفار ، لانه ينفخ في النفير من الصوامع ، قبل أن يدق على

الديار ، وفي تونس ـ بوطبيلة ـ ، وفي طرابلس سهار الليل وفي مصر المسحراتي ، وفي سورية المسحر ، وقد اخترعوا له نوعا من الشعر ينشده يسمى ـ القوما ـ باعتبار أنه موجه للخليفة وزوجه · وهو ضرب من الموشح ، في غاية الجمال ، اخترعه صفي الدين الحلي نجد نماذج منه في ديوانه ، وكتابه المعطل الحالي والمرخص الغالي · أما في تونس فينشد بوطبيلة حكميات تسمى العروسيات نسبة لسيدي أحمد بن عروس منها :

الدنيـا مثلتهـا دلاعـة
تتركـب مـن جملـة الدلاع
ماذا تغروا بيها ناس طماعـة
رماتهـم في بـير مالـو قاع
أو قوال سيدي أحمـد سـقا
اللي مـا يشـقى ما يلقى
يوحـل في الديـن الغـارق
امـا خير يقولـوا يا سـقا
والا يقولوا يا سارق ؟

كنشيد بنغمة رقيقة مستحبة ، في صمت الليـل ، فيكون لها تأثير عميق · واخترعوا أطعمة مناسبة لرمضان مثل أنواع الحساء ، وانواع العصير (عصير الزبيب ، عصير المشمش المجفف ·· الخ) · واخترعوا البريك الذي هو مع البيضة طعام كامل · فالعصير لرفع الجفاف عن المعدة ، يتناولونه بالمسجد ، عند صلاة المغرب ، ويتناولون أثره تميرات ، ثم يصلون ، ويرجعون الى البيت بعد أن انطلقت المعدة من جفافها ، فيأكلون البريك · واخترعوا للسهرة أنواع البوزة التي أبسطها حساء الدرع وكريمة البوفريوة ، ابي فروة ، وكريم الفستق واخترعوا للسحور ـ المسفوف ـ أو السفة · وهو كسكسون ، حلو ، جيد الحبات ، يسقى بالحليب ويخلط بالفواكه الجافة ، المطروسة ، من جوز وابي فروة ، وفستق ، وبندق وتمر ، وسكر ، وتكون فيه الكفاية ، فيصبح الصائم لا يشتكي جوعا ولا عطشا ، ففيه : شبع وري ·

وسخروا المدفع للاعلان عن الافطار ، والامساك ، وابتدعوا اختتام الحديث في عشايا رمضان ، في الجوامع ، والزوايا ، والبيوتات ، يحتفلون بها غاية الاحتفال ، وفوق ذي كل علم عليم ·

ومن العلوم الاسلامية علم الفرائض ، وهو القسمة على المستحقين ، وضع له علم الجبر ، ليتحولوا من المجهول الى المعلوم ، ولاجل العمليات الحسابية الجبرية ، أو الفلكية اخترعوا الارقام التي نعرف قيمة كل رقم منها بعد الزوايا التي يشتمل عليها ·

فالواحد زاوية ، والتسعة تسع زوايا ·

هذه القيمة الخاصة بالعدد ، وهنالك القيمة المقامية ، فهنالك دار الاحاد ، ودار العشرات ، ودار المآت ، ودار الالاف ، وهلم الى ما لا نهاية له فالواحد واحد اذا ما كان في منتهى اليمين ، ثم يصير عشرة اذا تأخر ، ثم مائة اذا زاد تأخرا ، ثم ألفا اذا بالغ ، وليقس ما لم يقل ·

والارقام هي : ١ـ٢ـ٣ـ٤ـ٥ـ٦ـ٧ـ٨ـ٩ · فاذا كانت منزلة من المنازل خالية من الرقم زادوها (·) وجعلوا الصفر علامة الخلا مدورا كمثل حلقة · ونقلوا الصفر الى أوروبا فأخرجوها من صفرها ·

وابتدعوا المثلثات لمعرفة ارتفاع الجبال ، بقيس الظلال المتولدة عنها · وقدم كل ذلك محمد الخوارزمي الى الاندلس فأخذها الاورو بيون عنه ·

ثم قدم كربوناري بيزاني وأبوه الى بجاية الحمادية ، فتعلما الحساب بجامعة بجاية عن الشيخ عمر فبرعا فيه ، ورجعا الى مدينة بيش بمعلومات وافرة فصارت عاصمة الرياضيات بايطاليا ·

أردنا أن نبرهن بكل ذلك على أن الاسلام تقني في عامة فروضه ، وهذا هو بيت القصيد ●

عثمان الكعاك





قبلة



محمد منذر لطفي

من ديوان «أمطار الربيع الدافئة» الصادر حديثا

صباحك الفل .. وشدو الكنار ... فجردي الحسن .. فكلي انتظار

السحر .. ما أهداه ذاك الشذى ... والخمر .. ما ضمته تلك الجرار

فم نبيذي .. يرود الهوى ... طفلا .. ونهد رف .. ثم استدار

أجمل ما في الكون اطلالة ... لبرعم في الروض حل الازار

قد جمع السحر .. وحلو المنى ... وافتر عن حلم شهي الثمار

فكان كالنجمة اذ ضوأت ... في الليل .. حتى أغرقت كل دار

أفدي الذي قد زارني في الدجى ... سرا .. وأهدى الفل والجلنار

وانشق عن نهديه ثوب .. كما ... ينشق عن أغلى الدراري المحار

قال .. وفي الخدين ماج الحيا ... حذار من حب الغواني .. حذار

حذار .. اني البحر في عمقه ... وانني التيار .. نورا نار

يا أنت .. يا أشهى هوى مر بي ... من ألف عام أعشق الانتظار

حتى خطرت اليوم في ملعبي ... فراشة جذلى .. رماها القطار

يا زهو عينيك .. وقد زانها ... في موكب الاطلال أشهى احورار

بحارها .. تبحث عن مركب
كأنها المطلق في عمقها
أفدي كروم اللوز ان أمطرت
ودعوة المبسم .. اما غوى
وخصلة .. كالضوء .. مرمية
وليلة « شامية » زانها
ودورقا ماس .. ببال الدجى
قالوا : جرار الخمر .. يا حلوتي
الشفة العليا - على طهرها -
يغار منها النهد ان مرة
لو أن لي هذي الكؤوس التي
لكنت أغنى الناس يا حلوتي

يعبرها .. أفدي اشتياق البحار
تاه شراعي في مداها .. وحار
وشهقة الخضر .. اذا ما استجار
وصبوة الناهد .. اما أغار
شقراء .. قد ضوأ منها النضار
تأوه القرط .. وغنج السوار
ما خطرا .. الا أطل النهار
وأين من ثغرك تلك الجرار
تقول للسفلى : البدار .. البدار
رفت على ثغري رفيف الهزار
تسلسل الحب .. وأين الفرار ..!
فكيف ان كانت بأمري تدار .. !

★ ● ★

ماذا .. وجاء الصيف .. جاء الهوى
فما أحيلاك على مرفقي
دخلت كرم الحسن في غفلة
بقبلة .. تحمل سر الهوى
قطفتها أمس .. فجن الهوى
تظل ذكراها - ورغم المدى
يا قبلة أهدت الى أبحري
هذا أنا من بعد عام مضى
والدرب ما زال ندي الخطى
أطلبها ألفا .. فينتابني
عودي الى الروض .. يعد موسمي
عودي .. فكل الحب في قبلة

وبلبل البستان غنى .. وطار
ثغرا .. ونهدا .. وبقايا دثار
منك .. فأسكرت الدجى .. والنهار
وفتنة الشبرق .. ودفء البهار
من شفة كسلى .. ونهد مثار
تضرج العمر بأشهى أوار
منار حب .. يا له من منار .. !
وأربعون العمر ترقى المدار
وأنت ما زلت أغاني كنار
سحر لظاها .. فأزور الديار
خصبا .. ويحلو في المساء الحوار
من ناهد فتح .. ثم استدار

أبو فرعون الساسي

كنيت نفسي كنية في شعري
أنا أبو الفقر ، وأم الفقر

د. عبد الوهاب حرب

بدأت حديثي عن شعراء التسول والكدية على صفحات الثقافة الغراء بوصفها معنية بالتراث العربي الخالد، ومحافظة على الادب الاصيل ٠ واستفتحت بالشاعر أبي الشمقمق رائد شعراء الكدية في العصر العباسي الاول واليوم أثني بشخصية طريفة أخرى مارست هذا اللون من الحياة ، وعبرت عنه بصدق واخلاص ، الا وهي شخصية الاعرابي السائل ابي فرعون الساسي ٠

اسمه شويس كما في « للورقة » (٢) وكنيته التي شهر بها ابو فرعون كما في جميع المصادر ، وكنيته التي اطلقها على نفسه في شعره ابو الفقر وأمه٠ وصفه البيهقي بالسائل (٣) وابن المعتز بعدم الصبر عن الكدية (٤) ونعت بالاعرابي (٥) ونسب اليه شعر اعرابي آخر ، او نسب شعره اليه (٦) ٠

والساسي نسبه الى ساس ـ علم على قرية تحت واسط في العراق ، أو علم على زيد بن مناة بن تميم ٠ وقد وردت نسبته في فهرست ابن النديم «الشاسي» وفي الامتاع والمؤانسة للتوحيدي (٧) « الشاشي » ربما نسبة الى شاش ـ مدينة وراء نهر سيحون ونحن نستبعد ذلك لان شاعرنا اعرابي لافارسي

هذا هو كل ما نستطيع ان نعرفه عن هذا الشاعر الاعرابي المغمور ، وهو يصلح نموذجا لشعراء الكدية من جهة ، ولمتسولي الاعراب من جهة أخرى ، الا انا آثرنا ذكره مع شعراء الكدية لانه عرف شاعرا ، ولانه لم يجنح في كلامه الى الاغراب جنوح الاعراب ٠ وقد عاش شاعرنا في القرنين الثاني والثالث الهجريين ومن ثم فانه نموذج لشعراء الكدية

في ذلك العصر ٠ وهو يوافق ابا الشمقمق في سؤاله الناس ، وشكاته من الزمن ، وندبه سوء الحظ ووصفه عياله وفقره وبيته ٠ ويخالفه في أنه أعف منه لسانا ، وافصح مقالا، وهو من بعد عربي أعرابي وذلك فارسي خراساني وقد عاش صاحبنا في فقر مدقع اضطره الى سؤال الناس لا فرق عنده بين أمير وسوقة وتاجر وبائع ٠ وقد يسعده الحظ فيأخذ على شعره جائزة كما يفعل شعراء التكسب ، ولكنه في الغالب يخونه حظه فيكتفي بمد الكفين لاستجداء أكف الناس الذين يعاملونه معاملة الشحاذين ، مغفلين شاعريته وأدبه فيمنحونه رغيفا كما فعل أبو كهمس التاجر العدوي ٠ قال ابن المعتز : « اتى أبو فرعون الساسي اباكهمس التاجر فسأله فأعطاه رغيفا من الخبز الحواري كبيرا فصار الى حلقة بني عدي فوقف عليهم وهم مجتمعون فأخرج الرغيف من جرابه وألقاه وسط المجلس وقال : يابني عدي استفحلوا هذا الرغيف فانه انبل نتاج على وجه الارض قالوا : وماذاك ؟ فأخبرهم فاجتمعوا الى ابي كهمس التاجر فقالوا : عرضتنا لابي فرعون وقد مزقنا كل ممزق(٨) » وهذا الخبر الذي استهل به ابن المعتز حديثه عن شاعرنا ان دل على شيء فانه يدل على ان أبا فرعون لم يكن خبيث اللسان كما كان ابو الشمقمق ٠ فلقد اكتفى بوضع الرغيف وقول ماقال ، ولو ان ابا الشمقمق كان مكانه لقال شعرا لعن فيـه بني عدي ، ولكان مزقهم كـل ممزق بالفعل ٠

وشعر ابي فرعون الذي بين ايدينا جيد فصيح مستملح ظريف ، ولقد وصفه ابن المعتز بقوله : « وكان من افصح الناس واجودهم شعرا واكثرهم نادرة ، ولكنه لا يصبر عن الكدية(٩) » ويبدو انه قد خالف ايضا طريقة الشعراء فلم يمدح الا في القليل النادر ، واكتفى بأن يكون شعره مرآة لحاله ووصفا لفقره وبؤسه ٠ يجلوه لنا في صورة ساخرة متهكمة ، أو حزينة قاتمة ٠

فمن تصويره الساخر ما تخيله من لقائه بحظه المنكود في المنام فاذا هو ضئيل الجسم مصاب بالعمى والصم ٠ ولعله لم يصب بالبكم ليستطيع أن يرد على صاحبه فيفحمه ، وهو بعد شيخ هرم يتحرك بمقدار ، فسأله الشاعر عن رزقه واين هو ؟ فأخبره ان رزقه في بطنه وهو مصاب بالامساك ومن ثم مشكلة الشاعر لا تحل الا بالعثور على دواء يطلق بطن حظه فيستطيع العثور على رزقه ، وهي صورة بالغة السخرية ، طافحة بالالم والمرارة :

رايت في النوم بختي	في زي شيخ ارت
أعمـى أصم ضئيلا	أبا بنين وبنـت
فقلت :حييت رزقي	فقال:رزقك با ٠ تي
فكيف لي بدواء	يلين لي بطن بختي(١٠)

وهو بعد ذلك أسعد حالا من ابي شمقمق الذي ليس لبيته باب ولا حجاب ، نعم فبيت ابى فرعون له باب يغلق ولكنه يغلق على لا شيء ٠ انه يستتر به عن أعين الناس حتى لايروا سوء حاله ٠ وهو في هذا التصوير اقرب الى الحقيقة وادنى الى الواقع من تخيلات ابى الشمقمق ٠ ولذلك لايخشى أن تتهمه بالكذب في تصويره ٠فان خالجك الشك في ذلك فانه يدعوك الى رؤيته لتصدقه :

ليس اغلاقي لبابي ان لي
فيه ماأخشى عليه السرقا

انما اغلقته كيلا يرى
سوء حالي من يجوب الطرقا

منزل أوطنه الفقر فلو
دخل السارق فيه سرقا

لاتراني كاذبا في وصفه
لو تراه قلت لي : قد صدقا(١١)

وليست المشكلة في خلو البيت من الاثاث الذي يسرق بقدر ما هي خلوه من الطعام الذي يؤكل ، فقد قلت الحنطة

في الحجرة ، وقد عطل التنور حتى نبت عليه العشب ، وقد فرغت اواني الطعام مما يملأها زمنا طويلا حتى نسجت عليها العنكبوت أما صاحبنا فقد خاصم الماء زمنا حتى عشش القمل في لحيته ، وقد قصر ملابسه حتى عادت تبانـا ـ شورت او مايوه ـ لايوارى سوى سوأته ٠

أنا أبو فرعون فاعرف كنيتي

حل أبو عمر وسط حجرتي

وحل نسج العنكبوت برمتي

أعشب تنوري وقلت حنطتي

وحالف القمل زمانا لحيتي

وصار تباني كفاف خص ٠٠٠(٢)

ويرسم لنا ابو فرعون باحدى اراجيزه الطريفة صورا فاجعة ترقق القلو بالقاسية ، بل تعطف الصم من الصخور الصلاب ، اطفال حفاة عراة سود الوجوه من كثرة تعريهم وتعرضهم للشمس ٠ فقدوا حنان الام التي تعطف وفقدوا حنان الناس أيضا فلم يتقدم اليهم تاجر من تجار ذلك العصر بثياب تقيهم الحر والبرد فبدوا كصغار الحشرات ، تارة تحسبهم خنافس ، وأخرى تظنهم لضآلتهم من فراخ الذر ، وقد هجم عليهم الشتاء بقسوة زمهريره فلم يجدوا ازارا ولا قميصا ، ولم يجدوا لهم ملجأ سوى ابيهم ، فأووا اليه من عاديات الدهر ٠ فبعضهم التصق بصدره ، وبعضهم الاخر انحجر بحجره ، وهو عائلهم الوحيد ، يجرى في طلب الرزق فيسبقهم الى ركن من اركان الحائط يمد فيه كفه للناس يسألهم المعونة :

وصبية مثل فراخ الذر

سود الوجوه كسواد القدر

جاء الشتاء وهم بشر

بغير قمص ، وبغير ازر

تراهم بعد صلاة العصر

كأنهم خنافس في جحر

حتى اذا لاح عمود الفجر

وجاءني الصبح غدوت أسري

وبعضهم ملتصق بصدري

وبعضهم منحجر بحجري

أسبقهم الى أصول الجدر

الا فتى يحمل عني أصري

هذا جميع قصتي وأمري

فارحم عيالي وتول أمري

فأنت بيتي وذخري

كنيت نفسي كنية في شعري

أنا أبو الفقر وأم الفقر(١٣)

لوحة فنية رائعة تتميز بصدق التعبير ، وتبتعث الاسى والاشفاق ، وتستدر الدموع وتعطف القلوب ، ولكن هل استدرت الاكف فمحا احسانها هذه الصورة القاتمة في الحياة وان أبقاها في الشعر ، أم أمسكت وأكدت لتبقى الكديـة صورة مقابلة في صور الحياة المغرمة بالمقابلات ؟ ! ٠ نغمة شجية حزينة ، وصورة للبؤس قاتمة « ولوحة رائعة ماكان أخلقها أن ترسم بريشة « رافائيل » او « رامبراند » وما أدق قوله : وبعضهم ملتصق بصدري ان فيه حسرة وألما ٠ وفيه بكاء يبعث على الاشفاق(١٤) » وما أصدق كنيته هذه التي استقاها من واقع حياته ، كنية حقيقية ان تصورت صبيانه الذين وصفهم تلك الصفات صورة مجسمة للفقر ، فهو من هذه الناحية أبو الفقر الذي تجسد فكان صبية يتضورون من الجوع ويرتعدون من البرد ، وهو أم الفقر أيضا حين فقد الصبية أمهم فأصبح لزاما على أبيهم ان يقوم

بدور الاب الكاسب لعياله ودور الام الحاضنة ٠ وهي كنية مجازية ان تصورت الفقر بجميع أجناسه وألوانه قد اجتمع عند هذا الشاعر المسكين : برد وعري ، وجوع وعدم ، ثم بعد ذلك كله ذل مابعده من ذل ، وهل في الذل أقسى من مد الكف للناس وهم قد فطروا على الاثرة ـ الايثار ، وحبب اليهم الاخذ لا العطاء ، والربح لا الخسارة ، وذل اقسى من هذا كله يتمثل في نظرات الناس الى هذه الفئة ، فهم بشر في الخلقة ولكنهم حشرات في تصور الناس، وما زال الناس ناسا والحشرات حشرات ٠

ولا يداني هذه الصورة في الروعة الا صورة أخرى يرسمها لاطفاله أيضا ولكنه في هذه المرة يكدي على المستوى الرفيع من الحسن بن سهل صهر المأمون فيمدحه على طريقة الشعراء ، وان كان لا ينسيه ذلك المدح ان يصور المتناقضات أنيصور لصهر الخليفة الغني غنىفاحشا صور الفقر المدقعفي أبأس حالاته ٠ انه هنا لا يصطحب أطفاله معه ليكدي عليهم ولكنه يستحضر صورهم فقط ٠ لقد خلفهم وجاء الى هذا المحسن يرجو نائله وحين حزم امتعته وشد رحاله للسفر لم يحمل معه غير هذه الصور القاتمة الحزينة :

سقيا لحي باللوى عهدتهم
منذ زمان ، ثم هذا ربعهم[١٥]

عهدتهم والعيش فيه غرة
ولم يناو الحدثان شعبهم

ولم يبينوا لنوى قذافة
تقطع من وصل حبالي حبلهم

فليت شعري هل لهم من مطلب
أو أجدن ذا تيوم بدلهم

أو يعذرن بالبكاء ان بكى
صب معنى مستحق اثرهم

مكلف بالشوق لا ينساهم
يمنحهم ودا ويرعى عهدهم

وينذر النذور ان رآهم
وعاد يوما عيشه وعيشهم

ولا ورب العيش لا يلقاهم
ولا يعود عيده وعيدهم

وكيف يلقاهم كبير سنه
وقد مضى الدهر وطاح نجمهم

وقف شاعرنا أمام الحسن بن سهل فتشوق الى دياره ، وتشوق الى أطفاله الذين هجرهم ليصلهم، وفارقهم ليعود اليهم وهل كان مستطيعا ان يحضر الى صهر الخليفة ومعه تلك الحشرات وبعضها ملتصق بصدره ، وبعضها منحجر بحجره؟ وقد اضطر الى مغادرتهم على الرغم من انفه فحضر يبكي وينذر النذور ان عاد اليهم ، ثم يتملكه اليأس فيظن انه قد حيل بينه وبينهم الى الابد ٠ وكيف يلقاهم وهو شيخ كبير قد تخترمه المنية بين عشية وضحاها ، ويدفع ليدفع ثمن المال الذي يعطي المال ممدوحا بطبعه ؟! ٠ وهذا الحسن سخي كريم فلماذا لا يمدحه شاعرنا ٠ نعم قد جاء موطنا نفسه على الشكوى اليه ، ولم يعتره أي لوم في توطين نفسه على هذا ، وهو في الطريق اليه قد رغب عن غيره فلم يقصد سواه

هذا وقد رأيتني فلم ألم
رأيي اذا لام الرجال رأيهم

أدعو ابن سهل حسنا ومجده
حين تعيا بعيالي أمرهم

أظل أدعو باسمه ، ودونه
قوم كثير رغبة تركتهم

تخيرا اخترته عليهمو

ولا بهم بأس ولا ذممتهم

ويندفع لمدح ممدوحه الذي يراه خير الناس حاشا الخليفة المأمون حتى اذا ما استوفى حقه من المدح عاد فشـكا اليه ورسم هذه الصورة الطريفة ، فقد انسل من المنزل تحت جنح الظلام ، وبعد أن أغمض الكرى عيون عياله فلم يشأ ان يوقظهم وانما أثر ان يتركهم ينعمون بأحلامهم ، وذهب يسري في الليل ليحقق لهم تلك الاحلام ويعبر لهم تلك الرؤى

ناموا فلما رأيت نومهم

عنى تحملت فما أيقظتهم

مطلع جديد هو الموضوع نفسه ، صرع هذا البيت اشعارا بأن القصيدة تبدأ من هنا ، أما مدحه وما ذكره من قبل فمن قبيل المقدمات للموضوع كالوقوف على الاطلال في الجاهلية وكالنسيب الذي يسبق المديح ونحوه ولعل شاعرنا أحس بأن شكواه أكبر من مدحه فاندفع ليحشو المدح داخل الشـــكوى :

والناس أخاذ وماء ناقع

وغدر تجري وأنت بحرهم

والناس أجناس كما قد مثلوا

وفيهم الخير ، وأنت خيرهم

حاشا أمير المؤمنين انه

خليفة الله وانت صهرهم

اليك أشكو صبية وامهم

لايشبعون ، وأبوهم مثلهم

ونلاحظ هنا انه بعد كل المدح للحسن عاد الى الشكوى فصرع البيت السابق للاشعار السابق ·

قد أكلوا الوحش فلم يشبعهم

وشربوا الماء فطال شربهم

وامتذقوا المذق فما أغناهمو

والمضغ ان نالوه فهو عرسهم

لايعرفون الخبز الا باسمه

والتمر ، هيهات فليس عندهم !

وما رأوا فاكهة في سوقها

وما رأوها وهي تنحو نحوهم

زعر الرؤوس قرعت هاماتهم

من البلا واستك منهم سمعهم

وما لهم من كاسب علمته

على جديد الارض غير جحشهم

وجحشهم أجرب منقور القرى

ومثل أعواد الشكاعي كلبهم

كأنني فيهم وان وليتهم

كانوا موالي وكنت عبدهم

مجتهدا بالنصر لا آلوهم

أدعو لهم يارب سلم أمرهم

وتارة أقول مما قد ارى

يارب باعدهم وباعد دارهم

صور للصراع النفسي صادقة واضحة ، هذا الاب ، المسكين قد عرف جوع ابنائه وأمهم ، بل هو يشاركهم في ذلك الجوع وذلك الظمأ ، انهم يأكلون ولكن لا يشـبعون ولو كان المأكول وحشا ، ويشربون فلا يرتوون ولو كان الشراب بحرا · ان الجوع والظمـأ هنـا معنويان لا حسيان فالفقير يلتهم الطعام الذي يناله بشق الانفس وهو لايكاد يصدق أنه حصل عليه وانه يلتهمه وانه يستطيع أن يجد بعد ذلك مثله · ومن ثم فهو يأكل بشراهة المجاعة حتى لا يعرف الشبع ، ويشرب شرب الهيم حتى لايعرف الري · هؤلاء الاطفال المساكين الذي يسمعون بالخبز والتمر والفاكهة فيعدونها المستحيلات الثلاثة وليس الغول والعنقاء والاخلاء الاوفياء كما قال بعض الشعراء ، لانهم لا يرونها في سوقها

مزروعة لسجنهم بصحراء ليست بذات زرع وضرع ، ولا يرونها في سوقها تباع لانهم لا يعرفون الاسواق ، ولا يرونها تهوى اليهم الا في الاعياد ان كان لهم اعياد ، وهم من بعد ليسوا بحرم الله الامين الذي تهوى اليه القلوب وتنعطف عليه الافئدة ويرزق ثمرات كل شيء ٠ ولكنهم عيال الرحمن الذي طالما اوصى بهم وكلاء الاموال من الاغنياء فلم يكرموا اليتيم ولم يحضوا على طعام المسكين ، وقد تضافرت على هؤلاء الصبية قوى الحرمان فشلت قواهم واعدت كل ما يتصل بهم فجرب جحشهم ونحل كلبهم ، ووقف الاب المسكين حائرا تارة يدعو لهم وتارة يدعو عليهم ، وهو في كلا الحالين مشفق عليهم باربهم يدعو لهم بالخير وحين لا يأتيهم يدعو عليهم بالموت ليستريحوا ويريحوا ٠

قد جرسوا الدهر وقد بلاهم
هـذا وهذا دأبه ودأبهم

ولا يعيشون بعيش سبغ
ولا يموتون وذاك قصرهم

هم في صراع مع الزمن جربوه وجربهم ، وعرف كل منهما حقيقة الاخر لم يعد يرجى تغيير هذه الحالة التي وهب لها الخلود ، وأضحوا لاهم يعيشون كما يعيش الناس ولاهم يموتون فيستريحوا ! ٠٠٠

وكان من جراء هذه التجارب أن تحول الاطفـال الواعدون الى وحوش كاسرة أو أفاع سامة :

كأنهم حيات أرض محلة
فلو يعضون لذكى سـمهم

يأوون بالليل اذا ما أحرجوا
الى ذرى الليهم وهي قدرهم

بها يطوفـون اذا ما اجرتثموا
وهى أبوهم عندهم وأمهم[١٦]

وبعد ان يفرغ من تصوير هذه اللوحات الحزينة لحياة هؤلاء الاطفال البائسين يتوجه الى ابن سهل يرجو منه أن ينظر بعين العطف والرحمة الى حال هؤلاء الذين وصفهم بما وصف

ولاينسى ان يختم قوله بشيء من التحذير والانذار ويقول له : اذا لم تعطف على هؤلاء فلا تعطف من بعد ذلك على أحد ، وكأنه بذلك يضع له قاعدة في الانفاق وفي الوجوه التي يجب فيها :

وقد رجونا يا ابن سهل نائلا
منك يرم فقرهم وبؤسهم

فانما انت حيا امثالهم ٠
فجد لهم بنائل لاتنسهم

وأسد نعماك اليهم واتخذ
حمدا وشكرا كل ذاك عندهم

هذا وانت قد حرمت حظهم
فلا تجودن لخلق بعدهم ٠٠[١٥]

ولسنا ندرى بعد ذلك ماكان من موقف ابن سهل وكأن حظ شاعرنا قد أبى عليه أن يحظى بالعطاء فنسبت هذه الارجوزة الى سعيد بن ضمضم وذكر راويها ان الحسن بن سهل قال له بعد انشادها : « سل ماشئت ، وتمن ما أحببت فلو خرجت اليك من ملكي كله ماكافأتك ، فقال : تشتري لي غنيمات وتردني الى البادية ، فقال تحن الى مكان تصفه بهذه الصفة ٠ قال : الوطن ، الوطن ٠ فاشترى له ألف شاة وأعطاه عشرين الف درهم ورده الى وطنه[١٧] » فان صح ان هذا وقد حدث لابي فروعون الساسي وليس لسعيد بن ضمضم فقد وجد الرجل أخيرا غناه ، وأخرس قيثارته التي كان يوقع عليها أنغام البؤس والالم ، وبقيت هذه الالحان وتلك الصور لترسم لنا الصور المقابلة لعهد الحضارة والترف ٠

وأبو فرعون خير من يمثل شعراء الكدية الاعراب اوبالاحرى رجازها فهو يتسول من عامة الناس في الشارع العام مستندا الى جدار وحوله أدواته ومسوغاته من أطفال سود الوجوه شعث الرؤوس غبر الثياب ،وهو يمدح الامراء على طريقة شعراء التكسب ومـا أوردناه من شعره غنـي عن الشرح

والتعليق فقد كانت أرجوزته الرائية موضع اعجاب المتقدمين والمتأخرين ولولم يكن له سواها لكفاه ذلك في ترشيحه للطبقة الاولى من الرجاز المصورين بانغامهم ، وقد قال ابن المعتز عن قصيدته الاخيرة : « والذي أخذ فيه طريق الجد كلمته في الحسن بن سهل وقد أجمع الناس على حسنها وفصاحتها(١٨)»

وعلى بعد ما بين الشاعرين أبي الشمقمق وأبي فرعون يفتربان فيلتقيان في البؤس الذي رضعا دره وتغذيا بلبانه ويسخران ويجدان فتدمع ضحكاتهما وتقهقه عبراتهما ، وهما من بعد يمثلان في الكدية صورة ساذجة للمكدين الذين يستعطون بالطريقة الاولى من مد الكف واستماحة الاكف وشكوى البؤس دون أن يلجأوا الى ألوان الحيل والخداع التي لجأ اليها من أتى من بعدهم كالشعراء الساسـانيين وأصحاب المقامات ٠

على أن بين الساسي والساساني نسبة لا تنكر ومـا قرأت اسم هذا الرجل الا ترنمت بقول ابن الرومـي يصف قاصا بارعا في فن الاحتيال جعل مسرحه بيوت الله تعـالى وشبكته أحاديث الدين وصيده من العامة المساكين

واذا قال : (رسول الله) مد الصوت مدا (١٩)

فعل ساسي من القصاص أعمى يتجدى

ولكل بعد ذلك مذهبه واتجاهه ففي رجز أبي فرعون نشم العرار ورائحة الصحراء ونلمس الحفاظ على قواعد اللغة وفي شعر أبي الشمقمق نرى الحضارة والمدنية ونلمس الخروج الى استعمالات العامة عن قواعد الخاصة وان عدهما بعض معاصرينا من الشعراء الشعبيين للاواصر التي تجمع بينهما (٢٠) ٠

وما كان الشاعران بدعا في هذا الفن ولكن كان لهم أمثال كثيرة وانما ضربنا بهما المثل وسقناهما أنموذجين من نماذج ذلك العصر ، والى لقاء مع شاعر آخر في زمن آخر ٠

الدكتور عبد الهادي حرب
دكتوراه في الادب والنقد

مراجع وتعليقات

١ ـ هذه المقالات عن أدب الكدية فصول من طروحة للباحث حصل فيها على درجة الدكتوراه في الادب العربي ونقده مع مرتبة الشرف الاولى

٢ ـ لابن الجراح ط مصر بتحقيق عزام وفراج ص ٥٣ ٠

٣ ـ المحاسن والمساوىء ط دار صادر بيروت ١٩٦٠ ص ٥٨٤ ٠

٤ ـ طبقات الشعراء ط دار المعارف بمصر ١٩٦٨ ٠

٥ ـ المحاسن ص ٥٨٤ ٠

٦ ـ الطبقات ٣٧٧ والمحاسن ٣٠٨ ٠

٧ ـ جـ٢ ص٥٣ و جـ٣ ص٣٤ ، ٧٠ ط مصر لجنـة التاليف والترجمة ١٩٤٢ ٠

من ٨ ـ ١١ الطبقات ٣٧٥ ـ ٣٧٦ ٠ والبخت كلمة فارسية عربيها الجد والحظ ، والارت : الاعجمي ، وسرق بضم السين بناء للمجهول ٠

١٢ ـ الامتاع والمؤانسة جـ٢ ص٥٣ ٠ وأبو عمرة صاحب شرطة المختار بن عبيد وقد ضرب به المثل في الشؤم ، والبرمة وجمعها برم مثل غرفة وغرف : قدر من الحجر ٠

١٣ ـ الطبقات ٣٧٦ والمحاسن ٥٨٥ ٠

١٤ ـ الظرفاء والشحاذون ٠ مطبعة الرسالة بالقاهرة بعد هام ١٩٤٣ ٠

١٥ + ١٥ ـ رويت هذه القصيدة في الطبقات والمحاسن وقد اخترت الرواية المناسبة من كل ٠

١٦ ـ حيات الارض المحلة : اخبث الحيات ٠ ذكى سمهم لم يرج منه شفاء ولم تنفع فيه رقية ، وهذا البيت مضطرب في مظانه وقد اخترت هذا النص من المقامة البصرية لبديع الزمان منسـوبا الى الاسكندري ومن بعده قوله :

اذا نزلنا أرسلوني كاسبا   وان رحلنا ركبوني كلهم

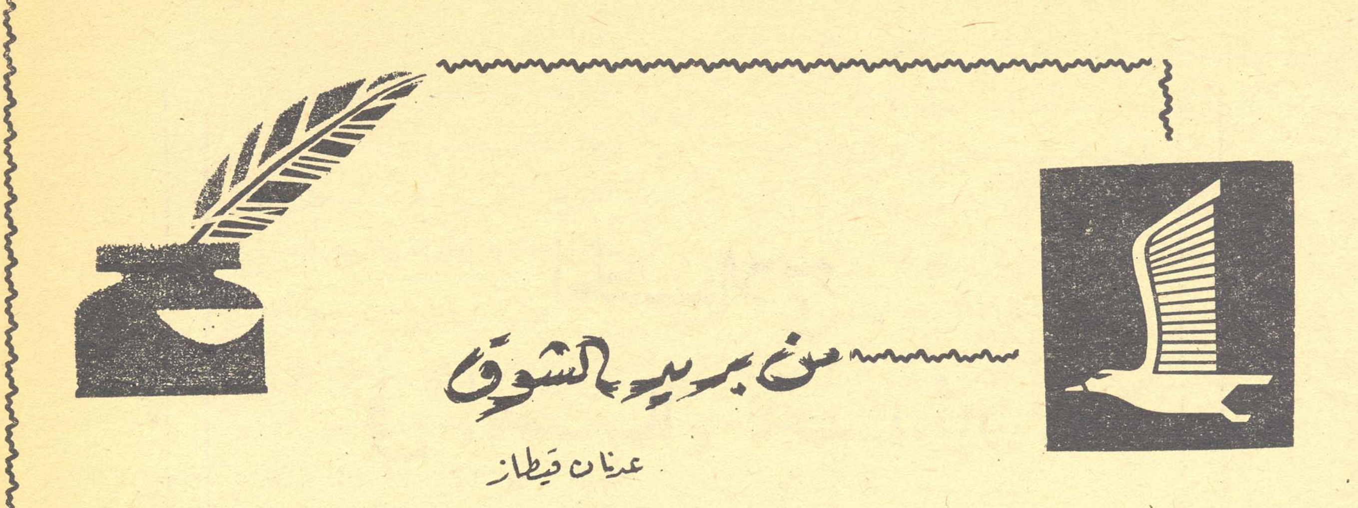
واللهيم بضم اللام وفتح الهاء : اسم للمنية والحمى الداهيـة والقدر العظيمة ، واجرنثموا : اجتمعوا ٠

١٧ ـ المحاسن ٣١٠ ـ ٣١١ ٠

١٨ ـ الطبقات ٣٧٧ ٠

١٩ ـ يقصد ذكر القاص لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي حين يقول قال رسول ٠٠٠٠ يمد صوته بذلك لخداع المستمعين ٠

٢٠ ـ انظر الشعر الشعبي العربي ٠ المكتبة الثقافية رقم ٦٠ ٠



من بريد الشوق

عدنان قيطاز

وكيف لم تكتبي ردا ومن سنة ... أنا أعيش مع الاوهام والذكر

وكنت قبلا اذا حملتها خبرا ... ريح الصبا سكرت من ردك العطر

بريدك اليوم ٠٠ قولي من أحاط به ... حتى تحول عني غير معتذر

ترى ٠٠ نسيت ليالينا وعهد هوى ... وما بنيناه بين الامن والحذر

هذي القصور من الاحلام لا بليت ... وكيف تبلى ٠٠ ومن ألوانها صوري

ألقى عليها الربيع الطلق سندسه ... وضمخ الصبوة العذراء بالخضر

على محياك زهو من نضارتها ... وفي عيونك تهويم من السهر

غنيت حسنك، لا أغلى، جوى ومنى ... عرائسا هن من أشعاري الغرر

وحبك السمح كم أرسيت مركبتي ... على شواطيه واستودعته خبري

وكم شربت رحيقي تحت أيكته ... وكم أثمت ٠٠ فلم يغضب ولم يثر

خذي عطاياك من وجد ومن حرق ... وأرجعي لي هدوء اللحن في وتري

قصائدي فيك رديها ولو ٠٠ مزقا ... فان من جاء بعدي لن يرى أثري

الحلاج في أعمال المحدثين

احسان محمد جعفر

الحسين بن منصور الحلاج الصوفي الحلولي المولود في حوالي القرن الثالث الهجري أحدث دويا في عالم الفكر قديما وحتى يوم الناس هذا ، وقد تناوله العديدمن القدامى والمحدثين في أعماقهم الادبية والفكرية ، وأشهر أولئك من أدباء القرن العشرين : الشاعر البغدادي جميل صدقي الزهاوي الذي نشر عام ١٩٣١ ملحمته ـ ثورة في الجحيم ـ حيث يلعب الحلاج دوره ·

والفيلسوف الاسلامي محمد اقبال اللاهوري الذي كان يصل فلسفته الشخصية بعبارة « أنا الحق » للحلاج ، وقد وضع الحلاج في أحد المشاهد في الانشودة الخاصة في كتابه « جاويد نامه » المسمى « رسالة الخلود » المكتوب بالفارسية والمنشور عام ١٩٣٢ (ترجم الكتاب الى العربية الدكتور محمد السعيد جمال الدين ـ القاهرة ١٩٧٤) ، وناقشه في الحقيقة المحمدية وفي قولته « أنا الحق » وانتهى الى أنها كانت تعبيرا عن الجانب الالهي في النفس الانسانية ·

وكذلك الدكتور زكي مبارك ـ الاديب المصري المعروف ـ الذي درس الحلاج « المغرم بالله » عام ١٩٣٨ ، والحقومي القاهري محمد لطفي جمعة الذي تعمق في دراسة

الاطار الاجتماعي لمحاكمة الحلاج فقارنها بمحاكمة جان دارك ـ ١٩٣٨ ـ ٠

وفي عام ١٩٦٥ طالعنا الشاعر المصري صلاح عبد الصبور بمسرحية شعرية تدور حوادثها حول «مأساة الحلاج» حيث يصفه بأنه ـ مجاهد روحي عظيم ـ ٠ وكان عبد الصبور منذ عام ١٩٦١ قد تحول من شعر الالتـــزام الاشتراكي الذي نجده في ديوانه الاول الى رؤية ذاتية صوفية منفتحة ٠ وربما كان هدفه من هذه المسرحية توسيع الفكرة الفلسفية ـ للثورة ـ مسوغا شرعيتها استنادا الى ثــورة الحلاج ٠

ولا يصرح عبد الصبور في تذييل ـ المسرحية ـ بتأثره بغيره أو بمحاولته محاكاة أحد سوى انه « قد كان لمقال ماسينيون ـ المنحى الشخصي في حياة الحلاج ـ ، ولكتاب ـ أخبار الحلاج ـ الذي حققه ماسينيون وعلق عليه مع بول كراوس أكبر الاثر في لفتي الى سيرة هذا المجاهد » ٠

غير أنه ليس من المستبعد ان يكون قد استلهم مسرحيته من ـ الدراما ـ التي وضعها الشاعر التركي صالح أقطاي من خمسة فصول حول ـ منصور الحلاج ـ ونشرها في استانبول عام ١٩٤٤ ، اذ ان ما سينيون أشار اليها في بحث له بعنوان ـ حياة الحلاج بعد موته ـ ٠ كما ولا بد انه قد استمد فكرة توسيع مفهوم ـ الثورة ـ عند الحلاج من نور الدين طوبكو مدير مجلة ـ حركت ـ التركية الذي اهتم بهذا المفهوم ٠

غير أن « مأساة الحلاج » لعبد الصبور تعـــد أول مسرحية شعرية في اللغة العربية تتناول شخصية الحلاج وهي تتألف من جزأين : الاول فيه ثلاثة مناظر والثاني فيه منظران ، وقد طال المنظر الثاني من الجزء الثاني وهو الذي يتنضمن ـ محاكمة الحلاج ـ و ـ صلبه ـ فغدا أوسع المناظـــر ٠

ومنذ أن لفت المستشرق الفرنسي لويس ماسينيوس الانتباه الى الحلاج في أوائل القرن العشرين بطبعه ديوانه « طاسين الازل والجوهر الاكبر » المعروف ـ بالطواسين ـ عام ١٩١٢ في باريز(١) والدراسات العربية والاعمــال الادبية تشهد تطورا متميزا طرأ على دراسة وتناول مأساة الحلاج بالتركيز على فحواها الفكري وأبعادها الاجتماعية ، وبالبحث في دلالتها التاريخية على اعتبار ان هذه الثـورة ومثيلاتها من الثورات والانتفاضات والحركات التي شهدها التاريخ العربي تحمل مبادىء اصلاحية ، وهي في ذاتها نماذج عاكسة لطبيعة المجتمع العربي الاسلامي آنذاك ٠

تماما كما طرأ على الدراسات التي تناولت صاحب الزنج الثائر منذ الاربعينيات ، فبعد ان كانت أمهات كتب التاريخ تنعته بالدعي والخبيث ، نرى المعاصرين يرفعونه الى مرتبة المصلحين والثوار ويصبح مادة ايحاء ورمز للشعراء « على سبيل المثال ثورة الزنج للشاعـــر الفلسطيني معين بسيسو » ٠

ويجعل عبد الصبور من الحلاج في مسرحيتـــــه ـ شهيدا ـ سقط وسط الضباب دفاعا عن حرية الكلمة والمعتقد ، وينفي عنه شطحاته ومعجزاته المبالغ فيها ويرى ان ما ذهب اليه ينسجم مع التصوف والعقيدة المتحررة ٠ ويصوره لنا على لسان الشبلي ـ وهو من كبار الصوفية وكان صديقا للحلاج :

ياصاحبي وحبيبي

« أو لم ننهك عن العالمين »

فما انتهيت

قد كنت عطرا نائما في وردته

لم انسكبت ؟

وردة مكنونة في بحرها

لم انكشفت ؟

وهل يساوي

العالم الذي وهبته دمك

هذا الذي وهبت ؟

سرنا معا على الطريق صاحبين

أنت سبقت

أحببت حتى جدت بالعطاء

لكني ضننت

حين رأيت النور تقت للرجوع

ها أنت قد رجعت

أعطيك بعض ما وهبت للحياة

بعض ما أعطيت .

واذا كان عبد الصبور أول شاعر حديث في الادب العربي تناول الحلاج في مسرحية شعرية فان عبد الوهاب البياتي قد سبقه في تناوله للحلاج في قصيدة شعرية حملت اسم ـ عذاب الحلاج ـ نشرها عام ١٩٦٤ تضمنت ـ المحاكمة ـ و ـ الصلب ـ يقول في تضاعيفها على لسان الحلاج بعد صلبه :

عشر ليال وأنا أكابد الاهوال

وأعتلي صهوة هذا الالم القتال

أوصال جسمي قطعوها

أحرقوهــا

نثروا رمادها في الريح

دفاتـــري

تناهبوا أوراقهــا

وأخمدوا أشواقها

ومرغو الحروف في الاوحال .

ويبدو لي أن البياتي كان هو الاخر متأثرا بماسينيون اذ أن عنوان هذه القصيدة ـ عذاب الحلاج ـ مقتبس من اسم أحد كتب ماسينيون يحمل العنوان نفسه (!) .

وينفرد عمل عبد الصبور في ـ مأساة الحلاج ـ عن عمل البياتي في ـ عذاب الحلاج ـ بطول النفس الشعري واحاطته بالحلاج من جميع الجوانب فضلا عن اتيان عمله على شكل ـ مسرحية ـ الامر الذي قصر عنه البياتي اذ لصلاح عبد الصبور تجارب عديدة في المسرح الشعري فقد كتب بالاضافة الى ـ مأساة الحلاج ـ ليلى والمجنون ـ و ـ بعد أن يموت الملك ـ كما كتب مسرحيتين قصيرتين هما : ـ مسافر ليل ـ و الاميرة تنتظر ـ ..

والحديث عن الحلاج في ـ الادب ـ يقودنا الى الالمام بلجوء الشعراء المحدثين الى استخدام الشخصيات التاريخية الاسطورية والرموز والنماذج العليا في شعرهم ، ومن ذلك استخدام خليل حاوي لشخصية السندباد والعازر واستخدام أدونيس للفينيق وعبد الرحمن الداخل واستخدام البياتي لمحي الدين بن عربي ..

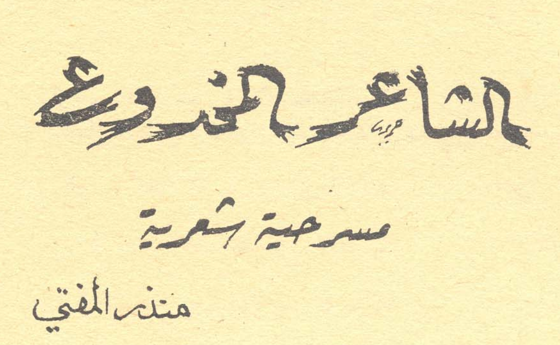
وقد طرأ على استخدام الرمز والاسطورة في الشعر العربي فكرة ـ الحلول ـ وذلك أن الشاعر يتحد بالشخصية أو الرمز الذي يتخذ قناعا في قصيدته أو مسرحيته الشعرية بحيث يصعب علينا أن نفصل بينه وبين هذه الشخصية أو الرمز ، وعن هذا الطريق يمنح الشاعر تلك الشخصية التي توحد معها قدرة على تخطي الزمن والعبور الى ـ المعاصرة ـ وقوة لتعبر عن الطموح الجماعي ، وهذا ما يسمى ـ بالتعبير بالقناع ـ .

احسان محمد جعفر

مدرس في ثانوية جول جمال باللاذقية

---

(١) أعاد الاب بولس نويا أستاذ اللغة العربية في ـ السوربون ـ تحقيق ـ الطواسين ـ مؤخرا ، بعد أن اكتشف مخطوطة جديدة للطواسين في المتحف البريطاني عام ١٩٦٧ .



الفصـــل الاول

ـ المنظـــر الاول ـ

(في قصر الشاعر ديك الجـن ٠ زوج الشاعر ورد ووصيفتها دلال تجلســـان في مقصورة على النهر) ٠

ورد تترنـم : « أبطـأ الرسـول فظللت أنتظـر … لا النـوم يأخذني ولا السهر »

دلال : غـردي يـا ورد بألحـان الهنـا … وامرحـي فالدهـر قـد غنى بنا

واصـدحي هذي الفراشـات التي … رفرفـت ترشـف طيبـا وجنى

ما دنـت الا لكـي تحكـي لنـا … قصص الحب وألحـان المنى

فتغنى مـا أغنـي يـا دلال … غـن

ورد : قولي ما أغني يا دلالي

دلال : حلوتي ، غني لنا لحن الوصـال

فأنا لحن روت عنـه الليالي

لحـن حكـاه سـيدي … في ثغرك الحلـو النـدي

ورد تغني : « لمـا نظرت الي ّ عن حدق المهـا … وبسـمت عـن متفتح النوار »

« عفرت خدي في الثرى لك طائعا … وعزمت فيك على دخول النار »

(يفتح الباب ويدخل الشاعر وهـو في حالة سكر) :

الشـاعر : ورد

ورد : أهـلا بـك

الشـاعر : عدت أين كنت ؟

ورد : أنا لم أبرح مكاني

هو عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب ، جده تميم من مؤته ٠ ولد في عام ١٦١هـ وتوفي عام ٢٣٦ هـ ٠

شاعر جميل ، عاش للشعر والجمال ، فعب رحيقه من حبيبته ـ ورد ـ ومن غلامه ـ بكر ـ وكان ذا سعة فانصرف الى للهو والطرب ومجالس المجان والخليعين ، حياته كاس وامرأة وغلام ، كثر خصومه ، تعدد حساده ، فنغصوا عليه حياته ، وبدلوا صفوه كدرا ٠ وائتمر عليه ابن عمه أبو الطيب ، فرماه باعز ما لديه ٠٠ بحبه النقي ، بحبيبته الوفية ، بغلامه الامين ، وأشاع بين الناس أن علاقة حب ذميم جمعت بين الحبيبة والغلام ، وفي غفلة أصغى الشاعر لهمس المؤامرة وهو سكران لقتل غلامه والحبيبة ، لكنه صحا بعد حين فوضح له طهر الحبيبة ونقاء الغلام ، فهام على وجهه يبكي الحبيبة بارق الشعر وأصفاه ، ومن رماد جسدها صنع كاس يعب منها الخمر فلا يصحو ٠٠٠٠ انه الشاعر ديك الجن الحمصي ٠٠

الشاعر : بل خرجت

ما الذي تخفين قولي ، أذعرت ؟

الشاعر يلاحظ الدمع بعينها) : ما دهى عينيك يا ورد . بكيت !.

دلال (لورد) : غلب السكر عليه فدعيه فهو لا يعقل أمرا ، أو يعيه
انظري عينيه يا ورد ، ارحميه

الشاعر : أين خمري ، أين كأسي ؟ ..

دلال (تناولها الكأس هامسة) : قدميه

ناوليه كأسه لا تظلميه وتغني بقوافيه وتيهي
(ورد تحمل الكأس وتناولها للشاعر الذي يرمقها باعجاب)

ورد : « فقام تكاد الكأس تحرق كفه من الشمس أو من وجنتيه استعارها»
موردة من كف ظبي كأنما تناولها من خده ، فأدارها »

ورد تندفع مغنية : «كيف الدعاء على من جار أو ظلما ومالكي ظالم في كل ما حكما »
« لا آخذ الله من أهوى بجفوته عني ولا اقتص لي منه ، ولا ظلما »
(لحظة صمت بين الشاعر وورد ، يتبادلان النظرات)

الشاعر : ورد ، همس الحب يدعونا ، وهمس الحب يصبي

دلال (باسمة) : وأنا فيم مقامي ها هنا ، رفقا بقلبي .
(وتغادر المقصورة)

المنظر الثاني

(في المقصورة ذاتها : الشاعر وورد)

الشاعر يترنم : « يقولون تب والكأس في كف أغيد وصوت المثاني والمثالث عالي »
« فقلت لهم لو كنت أضمرت توبة وعاينت هذا في المنام بدالي »

ورد تغني : « يقولون تب والكأس في كف أغيد وصوت المثاني والمثالث عالي »
« فقلت لهم لو كنت أضمرت توبة وعاينت هذا في المنام بدالي »

الشاعر : ورد يا خفقة الحنان لقلبي ورد يا بسمة الجمال الصبوح
أترى يهزأ الزمان بحبي وتعيث الالام يوما بروحي
ورد

ورد : ماذا دهاك

الشاعر : لا شيء ، لكن حلم كالح ببينك يوحي
زارني في المنام طيف عدو ورماني على الثرى كالطريح
شاهرا سيفه المخضب يا ورد مريقا دم الحبيب الذبيح

ورد : شاعري خلنا فأحلامك السوداء كالسهم في فؤادي الجريح
ألا حديث عن هذا الذي يثير أشباح الاسى والظلام
هات حديث الحب يا فاتني واصدح به يحيي ليالي الغرام

الشاعر : دعـي عتبـك يا ورد   وهاتـي نحـرك العاري
فلن أسأل عن أهلي   وعن صحبي وسماري
وثغرك منه الهامي   وفيه أصوغ أشعاري
(يعانقها)

ورد : (متمنعة تخاطبه مترددة) :
حبيبي أتسمع لي همسة

الشاعر : بل السمع وقف على شفتيك
أبيني ولا تكتميني شجونا   تنام وتصحو على مقلتيك

ورد (بلطف) : بكر فيم اختياله في الدار   وهو من فتنة الرجولة عاري
فلماذا أبقيه في الدار قربي ؟..

الشاعر : ورد مهلا

ورد (ضجرة) : لا مهل قلّ اصطباري
ولقد زاد يا حبيبي عذابي   ذكر ورد بأعذب الاشعار

الشاعر : وكيف أذكر بكرا   في الشعر من قال هذا
ورد : قالته أبيات شدوت بها   أتظل تذكره وتنبذني
تلك القوافي أوقدت شجني   أذكت أساي وحركت حزني

الشاعر : ترى لمن هذه الابيات هل عرفت سواك   هاتي أبينيها على عجل
لعلني أهتدي منها لقائلها   وأنقذ الحب من شجو ومن ملل

ورد (تترنم) : « دع البدر فليغرب فأنت لنا بدر   اذا ما تجلى من مفاتنك السحر »
« اذا ما انقضى سحر الذين ببابل   فطرفك لي سحر وريقك لي خمر»
«ولو قيل لي قم فادع أحسن ما ترى   لصحت بأعلى الصوت يا بكر يا بكر»

الشاعر : يا ورد بكر يتيم   رعيته من شبابي
فهل يضيرك أني   جعلته من صحابي

ورد : أجل فحين أراه   يثير كل اضطرابي
أبعده عنا وحاذر

الشاعر : رفقا به

ورد : وامصابي
ما قلت دع بكرا ولا تحفل به
لكن رأيت خيره في بعده
زوّجه واحفظ عهده ببره

الشاعر : ومن له

ورد : دلال

الشاعر : هل ترضى به

ورد : وكيف لا ترضى التي بحبه
جنت وعاشت في أسى لصده

انـي أراهـا دائمـا بـاثـره
مولعـة دون المهـا بذكـره

الشاعر : اذن تهـواه يـا ورد

ورد : أجـل أنحلهـا الوجـد

وأوهـى قلبهـا البعـد — وأدمـى جفنهـا السـهد
دلال تهـوى فتاهـا — فبكـر كـل مناهـا
هامـت دلال ببكـر — فـي صـحوهـا وكراهـا
زوّجـه منهـا وأسـعد — شـقية فـي هواهـا

الشاعر : رعـاك اللـه يـا ورد — فمـا أحنـاك في حبـك
سـأرعى الحب لا تخشـي

ورد : رعـاك اللـه

الشاعر : في قلبـك

ورد : شاعـري ان ليلنـا قـد تولّى — نـم قليلا واحلـم ولكـن بخير

الشاعر : أوتغنين مـا يذكرني الماضـي — وأيـام حبنـا الحالمـات
وليالـي الشـآم والنهر والضفة — والعاشـقين والعاشـقات

ورد (تغني) : « أما لي على الشوق اللجوج معين — اذا نزحـت دار وخـف قطـين
اذا ذكروا عهـد الشآم استعادني — الى من بأكنـاف الشـآم حنـين
فوالـه ما فارقتها عن قلى لهـا — ولكـن ما يقض فسوف يكون »

ـ المنظـر الثالث ـ

الشاعر بمفرده يحدث نفسه بصـوتمسموع ٠ ورد قريبة منه تسترق السمع) ٠

لا لن تخون هوانا فهي زنبقـة — بيضاء قـد عطرت حبـي والهامي
ترى أتصدق أحـلام وأخيلـة — سوداء يا لفؤادي الوالـه الدامي

ورد (متسائلة) : مولاي ماذا جرى قلبي يحدثنـي — بـأن عندك أمرا لست أعلمـه
تحدث النفس في يأس وتحبس ما — يجيش في صدرك الواهي وتكتمه

الشاعر : ورد قـد غمنـي خبـر — ورمـى بـي الـى الكـدر
لا تراعـي

ورد : مولاي قل

الشاعر : اهـدأي ليـس مـن خطـر

ورد : سـيدي سـيدي أبـن — فبحبـي ، قـل مـا الخبـر

الشاعر : جعفر خير صحبتي ... خير من أنجبت مضر

سكت اليوم صوته

ورد : أرماه سهم القدر ؟

الشاعر : كان ذكرى الوفاء في ... عالم بالوفا ... كفر

ورد (هامسة) : كان ذكرى الوفاء في ... عالم بالوفا كفر !

الشاعر : مالي أرى الكون في عيني يضطرب ... ما خطبه وعلام الطير تنتحب

أخيم الحزن فارتاعت جوانبه ... يكاد قلبي من أحزانه يثب

اني لالمح شرا لست أدركه ... يلوح لي من بعيد ثم يحتجب

ورد : ما جرى ما جرى أراك حزينا ... أي شيء ترى وهل من جديد

ففؤادي يذوب حزنا ورعبا

الشاعر (باسما) : وفؤادي خوف الليالي السود

الفصل الثاني

ـ المنظر الاول ـ

« حانة فيها ابن عم الشاعر (أبو الطيب) وصديقه ياسر يتشاوران في تدبير مكيدة للايقاع به » .

أبو الطيب : ان لم أقم بالامر قبل رجوعه ... فظن اللعين ولم نفز بوقوعه

فعلام ياسر قرّ رأيك

ياسر : في غد ... أرميه بالاوهام بين ضلوعه

وأذيقه الالم الرهيب ليختفي ... عن دربنا ويضيع بين دموعه

أبو الطيب : وكيف تفعل هذا ... وما الذي تبتغيه

أفصح عن السر قل لي ... وكيف ترتع فيه

ياسر : عندي عطر فاق كل وصف ... وهو سلاحي بدلا من سيفي

سوف ترى فتكا بدون عنف ... يورد مخمور الهوى للحتف

أبو الطيب : أنا لا أفهم ماذا ترسم ... كيف بالعطر لنا يستسلم

ياسر : أمنح العطر لورد ولبكر

أبو الطيب : ثم ماذا

ياسر : لا تسل فالعطر يغري

فاذا ما عبقت نفحته ... في ربا القصر فنم فالامر أمري

فربى حمص غدا تسري بها ... همسة الناس بأسطورة سحري

قصة الرعناء خانت حبها ... بهواه وارتمت في حضن بكر

أبو الطيب : ثم ماذا

ياسر : ليس الا ليلة ... ويذيع الامر والهمسة تسري

أبو الطيب : ثم ماذا

ياسر : ثم لا شيء سوى ... فتكة المخمور في ورد وبكر

وجنون بعد ذا أو ميتة ... حينما يظهر للمخدوع مكري

سيكون العطر للجرم دليلا ... يوقع المخمور في مكري ذليلا

أبو الطيب : فابتهج للامر وافرح فغدا ... لهف نفسي هل ترى الحلم الجميلا

ـ المنظر الثاني ـ

(في حديقة القصر . ياسر صديق أبي الطيب يحمل قارورة عطر بيده يلمح بكرا . يقف معه) .

ياسر	:	مرحبا بكر مرحبا بالجميل	مرحبا بالشباب
بكر (يمرح)	:		خل سبيلي
ياسر	:	بكر فيم الجفاء عني أتدري	فيم أقبلت يا أخي يا خليلي
بكر (يضيق)	:	فيم أقبلت	
ياسر	:	بائعا لعطور	خذ وجرب عطري لتروي غليلي
		وابد رأي الحسان فيه فهذا ال	عطر هيأته لكل جميل
بكر	:	هاته وانتظر فعما قريب	ـ سأوافيك شاريا للحسان
		فدلال تريد عطرا ومولاتي	تراه حتما بعيد ثوان

يتناول بكر قارورة العطر من ياسر وينصرف

ـ المنظر الثالث ـ

(بكر ودلال في ركن منزو من حديقة القصر)

بكر (بدلال)	:	جئت حبي بكل ما يبعث النشوة في قلبها	ويفرح قلبي
		جئتها بالشذا بعطر جميل أتراني أحظى	بنظرة حب

دلال : بكر أهلا فأنت عندي أثير
وأياديك كلهن عطور
لك مني قلب وفيّ طهور
أنت فيه دوما على أمير

دلال (تتناول العطر وتشمه) : هاته نعم صانع وخبير
فلورد هذا الشذا والعبير
حيث فضل لها عليّ كبير

بكر : لا تراعي لدي منه كثير
وهو للبيع . حلوتي . موفور

الفصل الثالث

ـ المنظر الاول ـ

دلال وورد في مقصورة بالقصر . دلال تقدم قارورة العطر لورد

دلال : سيدتي انظري وشمي واحلمي
روائح العطر البديع الملهم

ورد (وهي تشم العطر) : يا طيبه من عبق حلو الشذا متيم
من أين

دلال (بخجل) : من صب جميل مغرم
قد جاءني يسعى به ويرتمي
يهيم دوما بي فكيف أحتمي

ورد : عرفته ـ بكر ـ فتيهي وابسمي
قلباكما باحا معا . لا تكتمي

فليس في شرع الهوى من مأثم
هيا استعدي للزفاف واحلمي
(تخرج دلال مسرعة)

ـ المنظر الثاني ـ

الشاعر وحيدا في حديقة قصره . ياسروشخص آخر يندسان وراء سور الحديقة يتحاوران وهما يشيران ناحية القصر يقتربان من الشاعر وهما يتعمدان أن يسمعاه حديثهما .

ياسر (لرفيقه) :
خانته زوجته التي أسرته رهن طيوبها
خانته لم تحفظ له عهدا فيا لحبيبها
ان الحسان فريسة للغدر كم يلهو بها

رفيق ياسر : أمصير فتنتها لبكر يا لتعس نصيبها
ياسر : صبرا فان كشف الزما ن خداعها لرقيبها
ستكون في شرع الهوى مقتولة بذنوبها
هذا جزاء خؤونة لم ترع حق حبيبها
(ينصرفان)

الشاعر يردد : (تدور الارض بالشاعر حينما يسمعذلك ثم يسرع الخطا نحو القصر) .
هذا جزاء خؤونة لم ترع حق حبيبها
هذا جزاء خؤونة لم ترع حق حبيبها
(يرتفع صوته)
اذن تحقق ما قد كنت أخشاه وخان قلبي من لا زلت أهواه
فيا سماء اشهدي أني سأقتله واجعل الارض مأواه ومثواه
خان الهوى فاستحق الموت حين عدا يا بؤس حبي أشقاني وأشقاه

ينصرف مفتشا عن بكر .

ـ المنظر الثالث ـ

يلمح الشاعر غلامه بكرا يختال قرب مقصورة جاريته ورد وقد تضوع منه عطر هو نفس عطر مخدعها ذلك الصباح . يسترجع في ذهنه حديث ورد عن بكر وخوفها من قربها منه وحديث ياسر ورفيقه فيثور منشدا :

الشاعر :
عطرها عطرها تعست دليلا سوف يؤدي بخائني للحد
عطرته به فيا أرض ميدي لغرام ما بين بكر وورد
واندبي بأسماء طهر هوانا وسأبكي حبي وقلبي وحدي
(يشهر سيفه ويقتل غلامه بكرا . وهو ينشد) :

الشاعر :
مت يا مبيح الحب مت يا لعين أهكذا فعلت بالعاشقين
مت لعنة الله على ساعة ضم بها مثوى الهوى خائنين
(يقفز صارخا) :

ارقصي يا عرائس الموت في الجو وطيري وأرسلي أغنياتك
أزفت ساعة المنية حتى بان همس القبور في نفحاتك
هو ّمي ما أردت قد خضب الدم كفي ّ وجن الفؤاد من لفحاتك
يخرج متجها صوب غرفة جاريته ورد :

الفصـــل الرابع

ـ المنظر الاول ـ

يتجه الشاعر نحو غرفة جاريته ورد وهوشاهر سيفه المخضب بدم غلامه بكر يدفـع باب الغرفة بعنف صارخا :

الشـاعر : أيـن هـي الخائنــة الباغيــة — أيـن هـي الخائنــة الباغيــة

ورد : ما جرى

الشـاعر : قد جرى الذي كنت أخشـــاه — وقـــد خنتني فموتـي خؤونـة

ورد : أي حبيبي

الشـاعر : تعسا لحبك من حب رخيص

ورد : رحمـــاك

الشـاعر : يا للعينـــة

(يضربها بسيفه فترتمي أمامه وينكب على الجثة باكيا وهو ينشد) :

« أيهـــا القلـــب لا تعـــد — لهـوى البيـض ثانيـــة

ليـس بـرق يكـون أخـلب مـن برق غانيــه

خنـت حبـي ولـم أخنـــك فموتـي علانيـــه »

(تدخل الوصيفة دلال على صـــوت الشاعر فتشاهد جثة حبيبها بكر والسيف بيد الشاعر فتنهار على الارض مغميا عليها) ٠

ـ المنظر الثاني ـ

(دلال تفيق من اغمائها وقد أدركت الامر فتنشد بصوت حزين)

دلال : يا لمصـابي يـا لاحـزانـي — مـن بعد أحبابـي وخلانـي

ماتـا شريفين ومـا أذنبـا — ماتـا وفيين لخـــوان

خدعت يا مخمـور فاندبهمـا — وابتعهما للعالـم الفانـي

(الشاعر مطرقا ودلال تخاطبه)

دلال : فيم يا مولاي أنهيت حياة الابريـــاء

فيم يا مـولاي مثلت بحبـي ووفائـي

فيم يا مولاي قـد خلفتنـي عن خلصائـي

الشـاعر : أنت ما خنت وخانا صحبتي خانا ولائي

وشهدت اليوم ما بدد شكي ورجائي

مخدعـي قد فضح الامر وأودى بالرياء

عطرها ٠ عطر غلامي ٠ في صباحي ومسائي

سخر الاصحاب مني من جنوني وغبائي

دلال : مـولاي قـد تهت حقـا — وجانبتـك البصيره

أهـدانـي العطـر بكـر — فصـنته للامـيره

أعمـاك واش ذميـم — فرحـت نهبـا لغيـره

(الشاعر وقد أدرك بشاعة ما ارتكب ينكب على الجثة منشدا وهو يبكي) :

« يا طلعة الحمام عليهـا — وجنى لها ثمر الردى بيديها

رويت من دمها الثرى ولطالما — روّى شفتي مـن شفتيها

حكمت سيفي في مجال خناقها — ومدامعي تجري على خديها

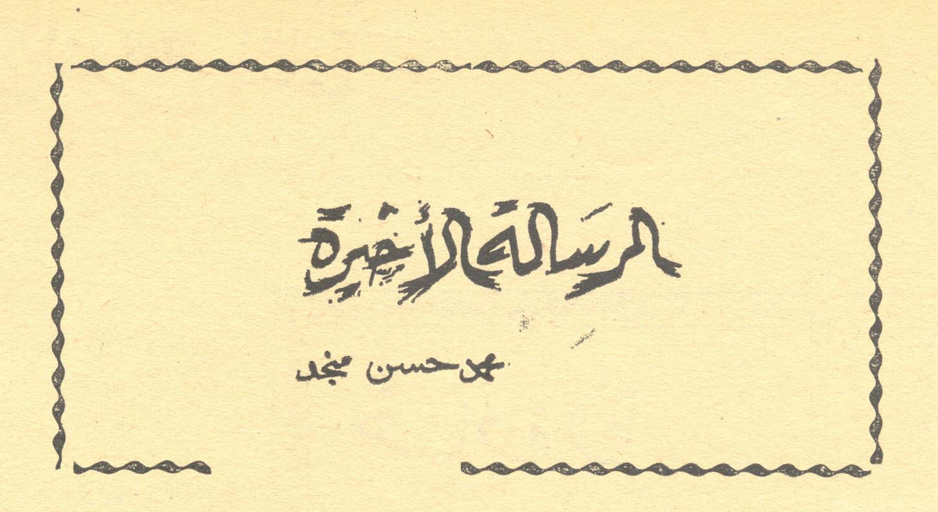
ما كان قتليهـا لاني لم أكن — أخشى اذا سقط الغبار عليها

لكن ضننت على العيون بحسنها — وأنفت من نظر الحسود اليها »

(ثم يندفع نحو باب القصر هائما في بساتين حمص وأصوات بعيدة تلاحقه ٠ ديك الجن ديك الجن ٠٠٠) ٠

« ختــام »

دمشق — منذر المفتي



تبرمت عندما حاولت ألثمها   وعاتبتني بطرف يقتل الاملا
أحببتها ٠٠ منذ كانت طفلة ٠٠ وكما   لقنتها درسها ٠٠ علمتها الغزلا
وكنت أحلم أني سوف أملكها   متى تضرم فيها الحب ٠٠ واشتعلا
حتى استوت غادة ضجت أنوثتها   يثير في كل ناد حسنها جدلا
ورف في صدرها فرخا مطوقة   تعانقا بعد نأي يلهب القبلا
والثغر ٠٠ برعم ورد ٠٠ لو ظفرت به   لاستغفر الله خوف الذنب وابتهلا

★ ● ★

فقلت : حسبك يا ريحانة شربت   دماء قلبي ٠٠ ولم تترك به بللا
عيناك ما رفت الاهداب فوقهما   الا لتجعل مني في الهوى مثلا
عيناك أنشودتا وجد عزفتهما   على جراح فؤادي ٠٠ فانتشى جذلا
ما السحر الا رفيف من لحاظهما   لو شام سحرهما « هاروت » لانتحلا
أو كنت في عصر « موسى » لارتجى بهما   ـ لولا عصاه ـ سلاحا يلقف الدجلا
يا فتنة لم تدع لي في الهوى سببا   الا وألفيت رسما فيه أو طللا
أغرقتني في بحار الشك يصرعني   وهم زرعت على أمواجه أملا

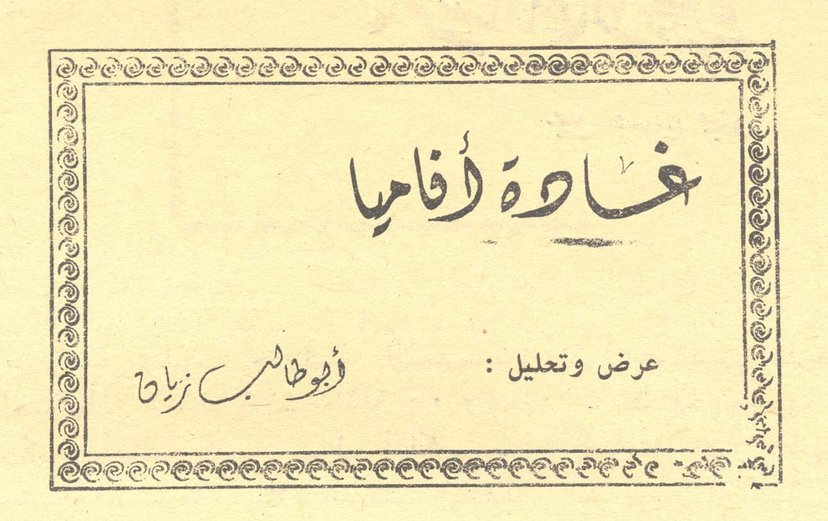
★ ● ★

عمري قصيدة وصل يا مذوبتي   يعربد الشعر من صهبائها ثملا
فقلبيها اذا ما شئت لاهية   أو فاحرقيها كما أحرقتني مللا
الى متى نقطع الايام في سغب   ونبعد الكأس عن أفواهنا خجلا ٠٠ ؟
الى متى نحتسي أشواقنا ألما   نخشى الغواية٠٠ نخشى الطيش والزللا؟

★ ● ★

هذي نهاية أحلام برمت بها   مر الخيال على ميلادها وجلا
غدا أعود الى كهفي وأمسح ما   خطت يداك على جدرانه مثلا





دراما شعرية في اربعة فصول للشاعر عدنان مردم بك

لشعر الشاعر مردم بك ، طعم ولون ورائحة ، أما الطعم فهو الذي يستلذه المطالع لهذا الشعر الطيب الذي يسلك صاحبه في عداد المقدمين من الشعراء ٠

أما اللون ، فهو الشفافية الصافية التي تجابه كل من وقعت عينه على ترنيمة من هذه الترنيمات التي يرسلها عدنان دون تكلف أو افتعال في قصائده البالغة التي تعدت أطوار الشعر ، ووقعت على فلسفاته تجابه أو تشافه فحول الشعر وفرسان البيان ٠

أما الرائحة ، فهي هذه النكهة التي يستلذها الشادي ويستطلعها البالغ ، ويستطيبها شيوخ الشعر ، ويرتاح لعبيرها اولئك الذين تأذوا لما عليه الشعر اليوم ، وما وضع له أو وضع فيه من تحلل وفساد وافساد ، وخروج عن المألوف وكسر لقيوده ، وذهاب لرونقه ٠

وغادة أفاميا التي خرجت وليدة يراع الشاعر العربي عدنان مردم بك ، هي جماع لهذه الخصائص الثلاث ، التي طعمها المؤلف في كل أشعاره منذ يفاعته ، وجعلها عنوان شعره في كل بيت من بيوته ، أو مقطوعة من مقطوعاته ، أو قصيدة من قصائده ، أو مسرحية من مسرحياته ، أو هي حياته التي لها طعم ولون ورائحة ٠

الواقع ان عدنان مردم بك ليس بالرجل المتطفل على مائدة الادب ، وليس بالرجل الذي أخذه بريق الشهرة ، أو تنميق العبارة ، أو خداع النظر ، فهو ابن عالم واديب ، وربيب بيت له مكانته في عالم الادب ، ودنيا الضاد ، فوالده خليل مردم بك يعد طليعة في العلم والادب ، ومرجعا لديوان العرب ، فلا عجب أن يغترف ابنه من هذا المنهل، وهو الموجه والقائد ويعب حتى الثمالة من هذا المعين الصافي ، ويروي من تلك التعاليم التي كان يشرق بها خليل مردم بك ويغرب

على ان لاعجب ان يختار الشاعر عدنان هذا الطريق ويمشي فيه ، ويسير على الدرب الذي سلكه ابوه ، وعبده أمام الدراسين الواعين والباحثين المتطلعين ٠ يحدثنا الشاعر عن الدافع له لطبع مسرحيته غادة ، بالذات دون غيرها من سائر مسرحياته فيقول :

« تدور هذه المسرحية حول فكرة قومية وانسانية معا واخترت مدينة أفاميا مسرحا لابطالها ، لان أفاميا قطعة من البلاد الشامية التي لي شرف الانتساب اليها ، يضاف الى ذلك ان فيها تصويرا لمشاهد طالما شاهدتها أيام طفولتي في دمشق وعشت معها حقبة طويلة ، حين كان الشعب السوري بجموع طبقاته حربا على المستعمر ، فحاولت تسجيل هذه الحقبة التي عشتها أيام طفولتي تمجيدا لها ، وبعثا لماضيها المشرق الذي جمع أسمى المعاني الخيرة » .

وأحلى من هذا ، ان يعترف الشاعر بفضل استاذ فرنسي عليه ، في توجيهه الى هذا النوع من الادب ، وتأثره بشرحه الادبي لنصوص شاعرين كبيرين فرنسيين ، غير تأثره بكثير من مسرحيات شكسبير واحمد شوقي في جل ما عالج من هذا النوع ... فما هي هذه المسرحية ؟ ! ومن هي هذه الغادة .

يعالج الشاعر مواقف مسرحيته بأسلوب شعري، يسهل على المطالع فهمه ويسلكه في عداد السهل الممتنع ، فالشعب في المشهد الاول من المسرحية ينظر من نوافذ دوره بحزن الى ذلك الجيش الظافر الذي يختال عبر المدينة وهو في عرضه العسكري ، على حين وقف شابان يتحدثان بمرارة وهمـا متواريان ، وان كانت الموسيقى تصدح من بعيد :

أسمعت عربدة القوي
وصوته المتوعدا
وشهدت مصرع من قضى
دون الحمى مستشهدا
في كل رابية دم
يجري ويعصف مزبدا
وبكل ركن كنت للاحزان
تبصر مشهدا
وبكل ربع مسرح
للظلم طال مشهدا
كنا به المأساة رتلها
العذاب ورددا

ويمشي الشاعر الهونيا بأسلوبه الحلو ، وتصويره الخلاب ، ورسمه الناطق للاشخاص والاماكن والبقاع ، فيجري الجواب والسؤال حتى تظهر غادة وتتقدم من الشابين وهما يهمسان بحديثهما العذب الحزين .

أليس لليل فجر
وللشقاء نهايه
الى م نخبط وجه
الثرى بغير هدايه
ونقطع العمر سعيا — في حالك دون غايه
والناس مثل ذئاب — ضراوة وعمايه

هم حللوا وأباحوا — محرما لنكابه
خالوا الحروب سبيلا — لكل مجد وغايه
والمجد كان ذماما — ولم يكن بغوايه
حيث ابن آدم تلقى — بكل طيف الجنايه

ولا أبدع هذا التصوير ، وما أبدع هذه الريشة التي استطاعت ان ... تقوى على الرسم في هذا المنظر الشتيت المتناثر ، منظر تفرق الناس على اثر ضربهم بهراوة الجند وحين اشتداد الهرج ، وسط الزحام ...

يقول الشاعر على لسان احد الناس وسط ذلك الجمع المحتشد :

تنح ياوغد وامسك — سوطا عن الابرياء
وأخش الاله بدمع — الاطفال والاشقياء
قد يلجم السوط ثغرا — عن منعطف ودعاء
وليس يلجم قلبا — عن نفث داء عياء

وبعد حوار عنيف وشد وجذب ، تبرز غادة متحسرة :

ما كان يوما فرار — يذود عنا المعاطب
وكيف يدفع عار — عارا ويمحو المثالب

وينتقل الشاعر نقلة عجيبة الى مشهد مؤثر ، ومنظر يأخذ بالالباب ، فضلا عن أنه يسترعي الانتباه .. فسابا وروبين هما ضابطان من جنود الفاتح (بيدا) يظهران في الميدان ، على حين تتناثر على الارض جثث من الضحايا المصروعين كرامة ، والمجروحين وطنية ولكن أنى لهذا المشهد ريشة رسام الا ان يكون الشاعر العظيم عدنان مردم ، فسابا وهو عدو يأخذه ما يأخذ كل انسان ، ويتأثر كما يتأثر غيره من بني البشر ، وان كان عدوا ..

يقول سابا :

اليس لنا بهذي الارض — غير القتل من هدف
تامل كل رابية — هناك وكل منعطف
اكنت ترى سوى جثث — مبعثرة على جرف
متى كان الاذى والسوء — مرقاة الى الشرف
وليس المجد مرهونا — على الطغيان والسرف

ويجيبه (روبين) :

تريد نصرا وتخشى — شأن الذليل الدماء
تقضي المروءة بذلا — على الفتى وعطاء

ويطول الحوار بين الجنديين ، ويفضي كل برأيه في هذه

المعركة الى ان تظهر غادة تتفحص القتلى في هذا الميدان ، فيراها (سابا) فيسرع الى لقائها قائلا :

عجبا أغادة ما أرى
والظبي مسكنه الكناس

ماذا دهاك أضاعت
الاشباه أم خفي القياس

أم عن من خطل
الهواجس طائف أم جد باس

كيف اهتديت الي
والطرقات ليل والتباس

وليس ثك في أن براعة الشاعر عدنان ، لم تظهر وحسب في الانتقال من منظر الى منظر ، أو الحوار الذي يكبره فيه المطالع ، بل تظهر كذلك في قوة الحجة ، ومنطق الاقناع ، وسداد الردود ·

والمطالع لرد – غادة – على – سابا – في هذا الحوار ، لا يسعه الا أن يحيي شاعرنا الكبير ، فغادة في ردها تقنع الجندي بأنها لا تخشى الناس ، ولا تهابهم ، لا سيما وهي تقف ملتاعة حسرى على أهلها الذين قضوا ، أو الذين ذبحوا ، وان كانت لا تغض طرفها أو تصد من جبن ، ولا تريد أن تكون ظبيا ، على حين دخل أهلها ميدان المعركة ، وهبوا للطعان :

أكنت تريدني ظبيا
يهاب الناس من جبن

ويلهو غير ملتفت
لدمع فاض من جفن

يصفق للضحى طربا
كطير حن للوكن

وأهلي بين مذبوح
وآخر مات في سجن

فواجع تستثير الدمع
في الاجفان من حزن

جليل أن أغض بمقلة
وأصد من جبن

وكيف تريدني ظبيا
وهب الاهل للطعن

وبعد مواقف صراع درامي بين الضابطين وبين غادة ومواقف عاطفية من جانب أحد الضابطين ورد غادة الحاسم عليه ، تتكرر المأساة ، أو يقفز شعور الشعب ، ملتهبا بالتضحية ، فتتعالى الاصوات ويحدث الهرج ،وتقعقع أسياف الجند ، ويتراكض الناس ، وهنا يسحب – سابا – غادة من يدها ويخرج بها من وسط ذلك الميدان اللجب المشحون بالمعارك والمضمخ بالاراء ·

على أن أشد شيء يلفت النظر ، ويسترعي الانتباه ، هو ما تسفر عنه المعارك دائما من أشلاء أو مناظر مؤذية ، تستدر الدمع ، وتعصر القلوب حتى تفيض رحمة واشفاقا·

يطوف الشاعر عدنان بريشته حول الميدان ، ويلقي نظرة حزينة على جثث القتلى الذين تمخضت عنهم هذه الاشتباكات الدامية ، ويبدو الوليد وهو يقارب الستين من عمره ، ومعه نايف وتميم ، ويدور حوار بين نايف والوليد ، ويبدي كل من الجمع رأيه في هذه الكارثة ، ويستمر هذا الحوار بوجهة نظر كل ، حتى ترتفع أصوات الشعب ، كما هي العادة في كل مأساة ، وان كان الجند في كل مرة يحاولون اسكات هذا الصوت بقوة السلاح ·

يعترف – بيدا – وهو القائد الفاتح بغيظ وحوله بعض أعوانه من شهود المعارك ، بأنه لم يحظ بما يصبو

اليه ، فالشعب يصر على الكفاح وعلى عداوته للمستعمر ، وهو كالليث يحمي حماه ويذود عن أوطانه ٠

ويرد عليه ــ روبين ــ رد كل جندي معتد ، لا يهمه سوى دك المساكن وسلب الاموال ، والعبث بكـل مقدرات شعب من الشعوب ، يعتدى عليه ولكن ــ بيدا ــ يجيبه اجابة خبير ، عرك النفوس ، وبلا الحروب ، وعرف مقومـات الشعوب ، فالقوم في نظره ، لم يوهن لهم عزم ، ولم تضعف لهم قناة ، وكل دم أريق هو السعادة بعينها للشعب ، وهو الغرم الذي سيدفعه الاعداء :

أيكفـي نصـركم والقـوم
لـم يوهــن لهـم عــزم

وهل فتـح يـدوم ولـم
يقـم لمسـيطر حكـم

اذا لـم تقمــع الفوضـى
فأس فتوحكـم وهـم

وكـل دم أريـق سـدى
لكـم ، وحياتكـم غـرم

ويدخل الحديث ــ سابا ــ ويرد عليه ــ بيدا ــ مغيظا محنقا ، ويدخل ــ روبين ــ بخبث في هذا الحوار ، ويستغرب ــ بيدا ــ ويغضب ــ سابا ــ وتتصارع حجج القائد وصحبه الى أن يبدو أحد الجنود ويتوجه الى القائـد ويعلمـه أن بالباب ــ الوليد ــ يلتمس زيارته ، فيتوجه ــ بيدا ــ الى ــ سابا ــ وهو شديد التهكم :

سألمس في الوليـد النبـل
مـلء القلـب والبصـر

وهنا يجيبه ــ سابا ــ نافيا عن الوليد كل نقيصة ، اذ ليست هذه هي عادة الاحرار ، فلا يسع ــ بيدا ــ الا أن يقول للجندي :

ناد الوليد فليـس شـيء
ان تـوارى يكتـم

يعرض الشاعر ٠٠ ما جاء من أجله الوليد ، ويعرض كذلك رد ــ بيدا ــ عليه ووجهة نظره ، واستساغته لما يرتكبه الجند من أعمال العنف ، في حين أن الوليد يود أن يعيش القوم ــ أهلا وخلانا ــ ٠

واذا كان الاستاذ عدنان لم يفته أن يعرض في هـذا المجال تخابث ــ بيدا ــ في رده ، ولا موقف الوليد من هذا الرد ، وتدخل نايف وتميم في هذه المحادثة أو ذلك الجدال ٠

والبراعة كل البراعة حين يقف الشاعر الكبير عدنان وسط هذا المجال المفعم بهذه الاساءات التي بدت من جانب ــ بيدا ــ وذلك الغفران الذي بدا من جانب الوليد ،ويصور النفسيتين ، ويحلل الشخصيتين تحليل العالم الخبير الذي يريك فلسفات الشعر التي طاوعته حتى كان هذا الاعتذار من جانب الوليد الذي يحاول به تخفيف حدة التوتر الذي ساد المحادثة التي جاء من أجلها الوليد :

مولاي صفحـا ان أسـاء
فتـى وأوضـع في الغوايـة

عـور الشـباب مـرده
نزق ، ونقص في الدرايـه

ان الشـباب مطيــة
لهـوى ، وركـب للعمايـه

مـا كـل جهـل باختيـار
كان أو عـن سـوء غايـه

رفقـا اذا جهـل الشباب
وضـاق ، مـن الدرايـه

يسـع الحنـان بصـدره
جللا ويغفــر عن رعايـه

ويساوم ـ بيدا ـ الوليد في ابنته ، ثمنا للسلام ، فلا يسع الشاعر الا أن يقول على لسان ـ الوليد ـ وهو يهم بالخروج ، هو وجماعته من مجلس ـ بيدا ـ :

للظلـم مهمـا تناهـى
نهايـــة وكتـــاب
ولـم يكـن ببعيـــد
عـن الغشـوم حسـاب

ولم يكن عجيبا من الشاعر أن يتصور أن الوليد ، لا بد أن يعقد مجلسا في داره بعد هذا الذي جرى من ـ بيدا ـ واملائه تلك الشروط القاسية التي لا يقبلها عقـل ولا يسيغها منطق ٠٠ فالوليد يتوسط المكان وهو مطرق ، على حين أن ـ نايف ـ و ـ تميم ـ يتساران ، ثم يبدو لنايف أن يقطع هذه الاغفاءة التي راح فيها الوليد ، وان كان يرد عليه في حزن ، وتسود بين الجميع المناقشات وتلوح الحجج ، ويظهر رأي الوليد واضحا في مساومة ـ بيدا ـ له في الوقت الذي يدخل فيه أحد اخوان الوليد معلنا عن مجيء ـ سابا ـ رسول ـ بيدا ـ لاخذ ـ غادة ـ ، وهنا يدور ذلك الصراع بين العاطفة والكرامة ، والتضحية حتى من جانب رسول ـ بيدا ـ نفسه :

وددت لـو كنت الفـداء
لهـا ، ولاتمنـى بخطـب

ووسط هذا الجو الغائم ، وفي حلبة ذلك الصراع ، تدخل غادة وتنظر الى الرسول ، وتفيض أريحية ووطنية

هـون عليـك قليـلا
فالامـر ليـس جليـلا

ومـا الـردى بمخيـف
لمـن يـروم نبيـلا

عـلام تجزع جنبـا
وتستغيث ذليـلا

والعمـر ، مـا أنت دار
طيـف ألـم قليـلا

وهـل عرفـت خيـالا
ألـم يومـا طويـلا

مـا كـان يشـجي حمامي
ان رد خطبـا جليـلا

دمـي يقـل لاهلـي
فـدى ، وكـان قليـلا

أليـس بـذل حياتـي
للاهـل شيئا نبيـلا

وقد تكون العروض العسكرية دائما ، هي مبتغى كل جيش محتل ، ينفث بها عن كربه ، ويعلن بها عن نفسه، لذلك مشى الشاعر على ما يدور بخلد كل غاز ، لا سبيل لسياسته غير المساومة والغضب والاختيال ٠٠

وحين تكون العروض العسكرية ، في أي مدينة مـن المدائن ، يكون الشباب في معسكرين : معسكر المتفرج الذي تفرحه هذه المناظر ، وتأخذه تلك الالاعيب ، ومعسـكر الواعي الذي يأسف لاقامة هذه الاستعراضات ٠

والشاعر في هذا العرض الذي أقيم في ـ أفاميـا ـ بمناسبة احراق ـ غادة ـ كأنه يقف مع ـ تميم ـ و ـ نايف ـ في المشاركة الحزينة التي استولت على كل الناس من جراء هذه العروض ، أو من وراء تلك المعاناة التي خلفت هـذه اللوعة في قلوب الشباب الواعي ٠٠

ثم ينتقل الاستاذ عدنان الى رسم صورة أولئك الثوار الذين تسلل بعضهم الى المذبح ومناجاة بعضهم لبعض ، في الوقت الذي يظهر فيه تميم ونايف مع جماعة من الانصار ويقول الوليد قولته ، وهو يشير بالوقوف :

لا تفتحوا يـا قـوم دون
نفوسـكم للحقـد بابـا

تأبى المواهـب أن نجـدد
للاذى ظفـرا ونـابـا

ولكن القوم يسيرون نحو المذبح والوليد لا يعجبه هذا، فيوالي الصراخ :

لا تفتحـوا يا قـوم دون
نفوسـكم للحقـد بـابـا

وأنضر ما في شعر الشاعر عدنان ، التجديد ، وسرعة التنقل ، فهو يربط الحوادث ربطا ، ويشد الوثاق علـى الصور المتنافرة ، حتى تخضع لبنانه ، وتكون طوع أمره ، فموكب ـ بيدا ـ في مروره ودونه الاسرى مكبلة بالحديد ، يأخذ الغلمان في الازقة ويجعلهم يتهامسون ، وتبلغ ببعضهم الوطنية فيشيد بالاحرار من الرجال ، حين يمسك هذا المنظر الباهت بتلابيب عقولهم ، ويستولي علـى كل همساتهم ، ويعصف بهواجسهم ، ويكسر ما يدور داخل نفوسهم من حب للمتعة ٠

ويختم الشاعر هذه الدراما بهذا المنظر الفاجـع ، منظر النار المشتعلة التي يقف أمامها الكاهن والى جانبه غادة مقيدة ، بينما يجلس ـ بيدا ـ عن بعد وحوله بعض رجاله الذين أحجم بعضهم عن النزول عند رأيه وتنفيذ ما أمر به ٠

والواقع أن الشاعر العربي عدنان ، كان في هذا الحوار الذي ساد الموقف ، واتخذ طابع الاخذ والرد بـين القائد والضابط ، مفكرا ، قبل أن يلمس اللمسة السحرية التي عصفت بكيان هذا القائد الجبار الذي كان يريد أن يمضي الى آخر المطاف في هذا العبث بهذه المقدرات ، وان كانت غادة نفسها تناديه أن يطيع ما أمر به ، وينفذ مـا حمل عليه :

(سابا) أجلك أن تكـون
النـذل تحجم عـن عظيم

أد الامانـــة حقهـــا
واصـدع لاقوال الزعيـم

لا يمنعـك عـن عظيـم
رمتــه جبـن اللئيـم

ولكن ـ سابا ـ يهوي بسيفه على ـ بيدا ـ وهـو ينشد مستريحا :

خذهـا لعلـك تسـتريح
مـن الضـراوة في الرجـم

واشــرب بكأس كنـت
تسـقيها مخضبـة بـدم

ولقد قدر الشاعر نتيجة هذه الفعلة ، أو هذا العمل الذي أتاه ـ سابا ـ بانقسام الجيش ، فينتهز تميم ونايف فرصة هذه الخلافات ويذهبان الى المذبح لفك أغلال غادة في الوقت الذي يطعن فيه (روبين) ـ سابا ـ ويقعان ميتين ويحيط الثوار بالمذبح ، ويدخل الوليد مع غـادة وتميم ونايف متوجها الى الثوار قائلا :

نلتـم عظيمـا معجـزا
لا يسـتهان ويحقـــر

وجميلــه عــن عــده
يعيـا اللســان ويحصـر

ولا يفوت الشاعر اسداء شكر الوليد الى سابا وهـو جثة هامدة :

ان فاتنـا رد الجـزاء
كمـا نـود ونؤثـر

جئنـا نبـارك جثـة
ولروحهـا نسـتغفر

ولا يخامرني شك ، ولا يخامر أي مطلع منصف لهذه الدراما الا أن يعترف للشاعر الكبير عدنان مردم بـك بالتعويض الذي أسداه الى العربية ، وسد هذا النقص الذي لحق ميدان المسرحية من يوم أن غاب أحمد شوقي عن الدنيا، اذ ما ظهر في هذا العالم من محاولات ، لا يعد لبنة في هذا البناء ، الى أن كان هذا الشاعر العالم عدنان فوضع الاساس ووصل ما انقطع ، وفوّت على الذين كانوا يعيبون علينا القصور في هذا الميدان عوضهم بهذه الدراما اليتيمة التي تصح أن تكون عنوانا على شاعر العرب عدنان لا شاعر الشام ، كما يتواضع هو ، وتواضع أبو ٥من قبل ، ولكن من قبيل انكار الذات ٠

القاهرة ـ أبو طالب زيان



مزق الصمت يا علي

عبد الرزاق اليوسف

(الى روح الشهيد العميد علي جحجاح) الذي أبلى في حرب تشرين التحريرية البلاء الحسن

مزق الصمت ساكنا بفؤادي ... وعد اليوم للقنا والجهاد

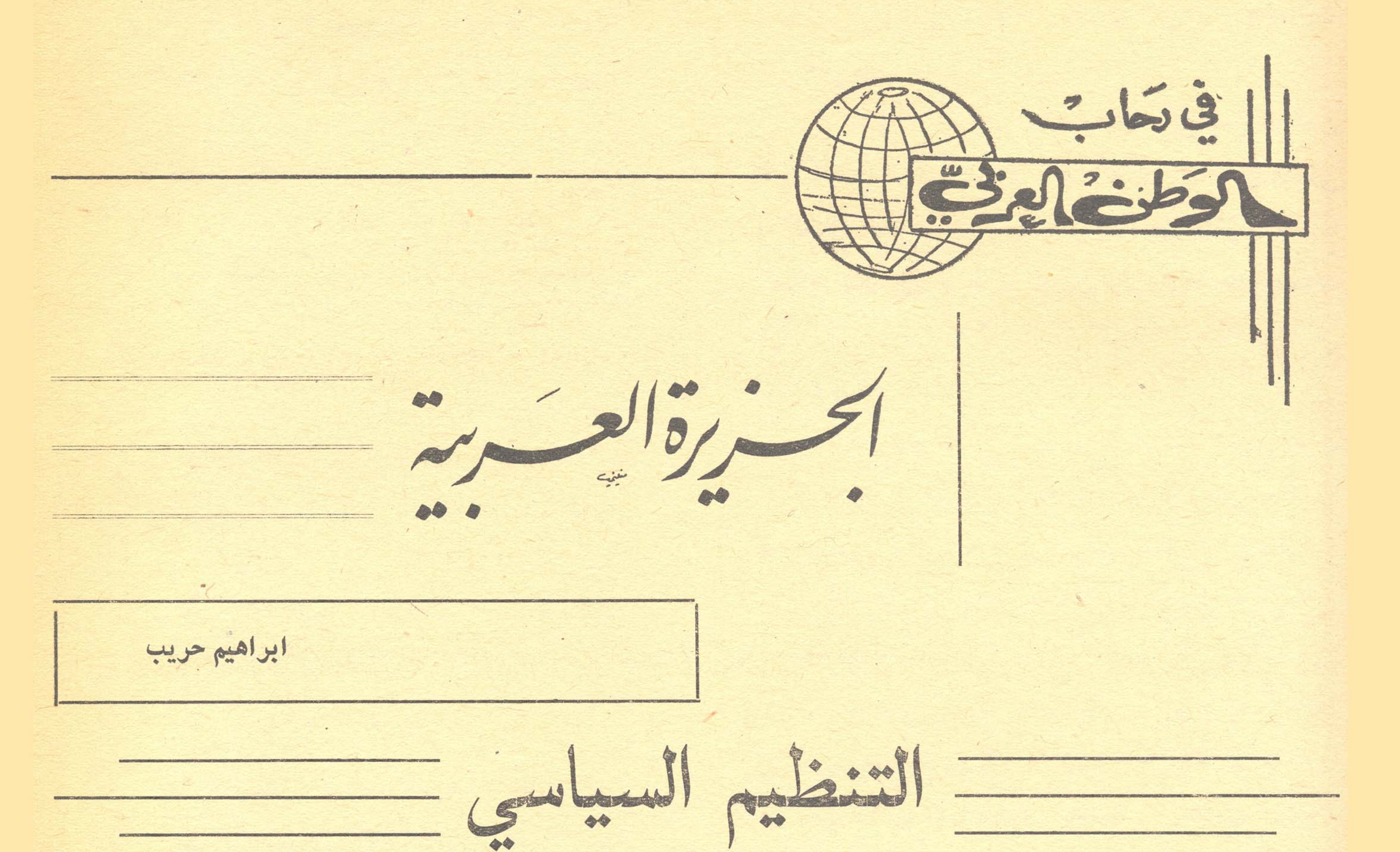
مزق الصمت يا علي فهذي ... حرب تشرين لم تزل في اتقاد

مزق الصمت والسكون وحدث ... كيف يلقى الشهيد رب العباد

حدث القوم عن كفاح مرير ... خضته الامس ممعنا بازدياد

كنت كالطود منعة وعنادا ... حبذا الطود شامخا في عناد

أنت باق على المدى ، أنت حي ... رغم أنف العدا ورغم البعاد



الجزيرة العربية

ابراهيم حريب

التنظيم السياسي

ـ ١ ـ

الجزيرة العربية ظلت وحدة جغرافية ضمن الحدودالتي عرفناها من ذي قبل ، وأصبحت من بعد ، وحدة قومية امتدت الى بلاد أخرى في قارتي آسيا وافريقيا ، من المحيطالى الخليج ، يتكلم أبناؤها لغة واحدة هي العربية ، ولهم دين واحد هو الاسلام ، يربطهم تاريخ وتراث حضاري عظيم ، وتجمعهم مصالح جمة ، يتشابهون بالسمات ويتفقون بالخلق والخلجات النفسية ، تطلعاتهم واحدة الى مستقبل يجمعهم في كيان سياسي واجتماعي موحد ، فهم أمة عربية واحدة ٠

واذا كانت الجزيرة العربية في الماضي البعيد وحدةسياسية ، فان هذه الوحدة لم تكن ذات المفهوم السياسي الدستوري العام والقانوني الخاص ، بسبب غياب حكومة أودولة تنبثق من وجدان الامة التي تعيش على أرضها ، وتنطلق من أسس فقهية أو قانونية تنظيمية ترعى مصالح الشعب وتوفر له الامن والطمأنينة ، ولئن قامت دول بالجاهلية في الشمال والجنوب ، فان هذه الدول لا تتمتع بمقومات الدولة التي نعرفها اليوم ، ولا تشبه الكيانات الدولية التي كانت قائمة يومئذ ٠ فلا تنظيمات سياسية أوادارية خاصة ، ولا قوانين مسنونة ، بل عادات وأعراف تحكمت فروعيت ، ولا جيوش نظامية تحمي وترد الغارات والغزوات ٠ لكنها كيانات تقوم على أسس قبلية ، تسيرها انفعالات نفسية وتسيرها علاقات طارئة ٠

ولعل تقسيم سكانها العرب الى شماليين وجنوبيين ، هو الظاهرة البارزة في الجزيرة العربية يومئذ ، وفي هذا الاطار كانت الكيانات الدولية السياسية ٠

فعرب الجنوب هم سكان اليمن وحضرموت وما جاورهما ، وهم يعيشون في مدن وقرى ، ولغتهم السبأية أو الحميرية ، وهي لغة عربية تختلف عن لغة أهل الشمال في

بعض مفرداتها واشتقاقاتها وفي نطقها ، وتكاد تكون لهجة خاصة ٠

وعرب الشمال ، هم سكان نجد والحجاز وأواسط الجزيرة ، وكانت أكثر مساكنهم خياما ، وبعضهم يسكن في مدن ، ولغتهم هي العربية التي نعرفها اليوم ، وبها نزل القرآن الكريم ٠

ولغتا الشمال والجنوب ، أو لهجتاهما ، تنبعان من أصول واحدة هي العربية ، وبسبب عوامل طارئة حدثت فروق كثيرة بينهما ، وكادتا تستقلان الواحدة عن الاخرى ، وتشكل كل منهما لغة مغايرة فتنفصم الروابط بينهما ،لو لم ينزل القرآن الكريم بلغة قريش ، لغة أهل الشمال ، فنسي أمر الجنوبية وخطها المسند واندثرا ، وانتشرت لغة قريش في أرجاء الوطن العربي في حدوده السياسية والجغرافية ، فهي لغة القرآن ، لغة الدين والعبادات ٠٠ لغة العلم والحضارة التي بناها العرب المسلمون ٠

ـ ٢ ـ

من هذا التقسيم ، شمال وجنوب ، ننطلق بايجاز لرؤية التنظيم السياسي الذي كان سائدا في الجاهلية وفي الاسلام وفي عصرنا الحاضر الذي سوف نهتم به أكثر ، لكي نرى جميع المؤثرات الحقيقية في الحياة السياسية والاجتماعية وفي الاداب والفنون وعلاقاتها مع المؤثرات الاخرى في الوطن العربي ٠ وفي كل أمر لسنا بصدد مناقشة الاحوال التاريخية والنظريات المتعددة المتناقضة في تكوين ذلك كله ، فأمرها يطول ، ولا تتسع لها صفحات محددة من « الثقافة » ٠

ـ ٣ ـ

عن الجنوب ، يقول استرابون « يشمل القسم الجنوبي من جزيرة العرب أربعة شعوب وهم المعنيون وعاصمتهم ـ قرنا ـ والسبأيون وعاصمتهم ـ مأرب ـ والحضرموتيون وعاصمتهم ـ شبوة ـ ٠ والقتابيون وعاصمتهم ـ تمناء ـ ٠ ونرى أن سترابون قد خلط بين مفهوم الدولة ومفهوم الشعب ، فهذه التي سماها شعوبا ، لم تكن الا دولا تعاقبت على حكم شعب واحد ٠

فالمعنيون : أصحاب تجارة واسعة ، ويقيمون في مدن كثيرة الاشجار وافرة الظلال ، وقد اكتشف المستشرق هاليفي في الجوف الجنوبي شرقي صنعاء كثيرا من التقوس بالخط المسند ، تدل على أن بداية المعنيين كانت في هذا الموقع ،وقد قرأ أسماء آلهتهم وملوكهم الذين كانوا ٢٦ ملكا ، وهي تتشابه في كثير منها ٠

ويتفق كثير من المؤرخين على أن المعنيين قد نزحوا من العراق ، وأن أصلهم آرامي ، واستوطنوا في اليمن ، وأقاموا دولتهم فيها ، وقد بسطوا نفوذهم على معظم الجزيرة لعربية ما بين القرنين الرابع عشر والسابع والثامن قبل الميلاد ٠ وملكهم وراثي ٠

السبأيون : يقول بعض المؤرخين أن بداية السبأيين كانت في القرن الثامن قبل الميلاد ، ومعنى ذلك أنهم جاؤوا الى الحكم وأقاموا دولتهم على أنقاض دولة المعنيين، والسائد أنهم ينتمون الى قحطان ٠ وقد اكتشفت آثارهم التي تدل على أن دولتهم تدرجت من الامارة البسيطة ـ ولعلها حكم القبيلة ـ الى الكهانة ، ثم الملك ٠ ومرت تسمية ملوكها بأربعة مراحل هي : مكرب سبأ ، فملك سبأ ، فملك سبأ وريدان (وريدان محفد من محافد السبأيين الكبرى ، وهي ظفار اليوم ـ وأخيرا ملك سبأ وريدان وحضرموت واعرابها في الجبال وتهامة ٠

دامت دولتهم من ٨٥٠ ق٠م ـ ١١٥ ق٠م وملوكهم كانوا ـ٢٧ـ ملكا ـ ١٧ مكربا و ١٢ ملكا ـ ٠ وكانوا يقيمون حينا في مأرب وحينا في ريدان ـ ظفار ـ ٠

والشائع أن دولتهم انتهت عند انهيار سد مأرب واضطرارهم الى الزوح ، وثمة رأي مخالف ، فان أول هجرة

اندفعت من الجزيرة كانت في ٣٥٠٠ قبل الميلاد ، كانت بسبب انهيار سد مأرب أي قبل انقراض دولة السبأيين هذه بزمن بعيد ٠

وهي مركز تجاري هام ، كانوا ينقلون السلع والطيوب والافادية الاتية من الهند الى مصر والشام والعراق ٠

والحميريون جاؤوا بأعقاب السبأيين في سنة ١١٥ق م ، ان ملك الحميريين الاول هو حمير بن سبأ ، وانتهت بذي نواس ٥٢٥م ٠ وقعت بينهم وبين الاحباش والفرس حروب ضارية ، وكان ملوكهم كالسبأيين يلقبون بملوك سبأ وريدان وقد مرت هذه الدولة بمرحلتين : الاولى بدأت بحمير ١١٥ق م وانتهت بياسر انعم ٢٧٥ م أما المرحلة الثانية فقد بدأت بشمر يرعش ٢٧٥م وانتهت بذي نواس ٥٢٥م الذي وطأ أرض فارس وخرسان ، وخرب الصفد وراء جيحون ، وقيل انه قد وصل سمر قند ، وسميت باسمه ـ شمر كند ـ ثم تحول اسمها الى سمرقند ٠ وأحد ملوكها أبو كرب بن مكليكرب فتح يثرب وكسا الكعبة ٠ أما الملك الذي جاء بعد ذي نواس ٥٢٥ ـ ٥٣٥ فانه لم يحكم ٠ وكان ملوك المرحلة الثانية يسمون بالتبابعة ، لان لاكثرهم اسم ـ تبع ـ ٠

وتوالت الاحداث والوقائع بين حمير والاحباش منذ أواسط القرن الرابع للميلاد ، أخذت لهذا طابعا مميزا عن سائر الدول التي تعاقبت على الحكم في اليمن والتي كانت تجاور بعضها بعضا ٠ والحروب بينهم لم تفتر ، فللاحباش مطامع في اليمن ،كانت دوافعها اقتصادية أو دينية فاليمن كانت تمتاز عن أية بقعة في الجزيرة العربية بوفرة مياهها وكثرة أشجارها وخصب أرضها ، فضلا عن موقعها الممتاز المشرف على البحار ، الذي هيأ لها مركزا تجاريا هاما في كل الادوار التي مرت بها ، وهي واسطة العقد بين الهند ومصر والشام والعراق والجزيرة نفسها ، تنقل السلع والطيوب والافاوية ، وثمة وضع ديني آخر ، ففي نجران كانت المسيحية منتشرة ، وبنى النصارى فيها ما أسموه بـ ـ كعبة نجران ـ وكان ذو نواس ـ آخر ملوك حمير ـ يهوديا متعصبا ، فغزا نجران وهدم كعبتها ، وحفر اخدودا أشعله نارا ، أحرق بها النصارى ، وهم عرب مثله ، وكان ملوك الروم والحبشة على دين النصرانية ، فاستجار دوس بن ثعلبان ـ أحد الذين نجوا من الحريق ـ بقيصر ، فلم يسعفه الا بكتاب الى النجاشي ، فأرسل هذا قائده ارباط ، وقضى على دولة حمير ، وفر ذو نواس واقتحم بفرسه البحر واختفى ٠ واستعمر الاحباش اليمن كلها ،وعاثوا بها فسادا، وساموها عنتا وارهاقا ، حتى ظهر سيف بن ذي يزن ، الذي استنصر بكسرى الفرس، فنصره بجنده الذين احتلوا اليمن، ونصبوه ملكا عليها تحت حكمهم ، واتخذ له صنعاء عاصمة ٠

الى جانب هذه الممالك في الجنوب ، كان ثمة دولتان صغيرتان ، تعملان بالتجارة ، جهل العرب أمرهما ، وانما عرفهما اليونانيون من التعامل معهما تجاريا ، اذ لم يكن لهما شأن يذكر سياسي أو عسكري، في الاحداث التي وقعت، ولعلهما قبيلتان ،كانتا تعيشان على هامش الاحداث ،بمعزل عن الصراعات الداخلية والخارجية التي اكتنفت تاريخ المنطقة ، هاتان الدولتان أو القبيلتان ، وهما الجبانون والقتاتيون ، يضاف اليهما قبيلة أخرى ، قيل ان لها حكومة صغيرة لم نعثر على ذكرها في المصادر العربية ، أولئك هم القريون ٠

ومهما يكن من أمر ، فان غموضا اكتنف تاريخ هذه المنطقة ، فالمصادر العربية لم تهتم بالروايات المختلفة ، والروايات الاجنبية كثيرا ما تعتمد الاستنتاج والمقارنة في تثبيت الوقائع ولعل الاكتشافات تلقي أضواء باهرة على تاريخها ٠

ـ ٤ ـ

تبين لنا أن عرب الشمال عدنانيون ، قيل أن نسبهم يتصل باسماعيل أبيهم ، ويجرهم أخوالهم ، انهم كانوا يقيمون في الحجاز ونجد وتهامة ، ومنهم قريش التي سكنت مكة ، وكانت تعمل بالتجارة بين اليمن والشام ، وقد يتعدونهما الى مصر والعراق ٠

وعرب الشمال ، أو العدنانيون رحل، يسكنون الخيام وهم ، وهم قبائل متعددة ، الا أن أهمها :

١ ـ قضاعة ، ومراعيها تمتد من جدة فما دونها شرقا على شاطىء البحر الاحمر الى ذات عرق ، وهي الحد الفاصل

بين تهامة ونجد . وقيل انها امتدت الى تهامة نفسها ، ومنها نزحت الى البحرين .

٢ ــ مضر ، وتقيم في الحرم الى السروات وما دونها .

٣ ــ ربيعة ، كانت مساكنها في مهبط الجبل من قمر ذي كندة وبطن ذي عرق وما جاورها من نجد الى الثغور من تهامة .

٤ و ٥ ــ اياد وانمار ، وكانتا تقطنان ما بين مصر الى نجران .

الملحوظ أن ليس بين مواطن هذه القبائل حدود فاصلة ، طبيعية أو متعارف عليها ، ولكنها لا تتجاوز ما تعرفه من حدود الا في حالات خاصة ، وكانت تجتمع في فترات ، اما بمجامع واما بمواسم ، حتى وقعت فتن ، فتفرقت . وكانت بينها حروب وغزوات ، ومن شاء الاطلاع فليرجع الى أنساب العرب وأيام العرب .

ومن قضاعة ، جهينة التي امتد نفوذها الى مصر ، وغلبوا أهلها واستولوا على باديتها وصعيدها أجيالا .

ومن بطونها أيضا ، تنوخ التي كانت له دول في مشارف الشام والعراق ، وأقدم هذه الدولة التي أقامها جزيمة الابرش في العراق ، وهي التي مهدت السبيل لقيام دولة المناذرة في الحيرة .

ومنها سليح ، التي جاءت مع التنوخيين الى مشارف الشام ، ونزلت في البلقاء وحوران والسليمة والزيتون ــ كما يقول الهمداني . واستطاعت أن تقضي على نفوذ الضجاعمة في حرب ضروس . فانتصرت ، وأقامت **دولة الغساسنة** ، واتخذت بصرى الشام عاصمة لها . ولقد اختلف المؤرخون في أصلهم ، أعدنانيون أم قحطانيون ؟ .. والراجح أنهم من قحطان ، قد رحلوا من اليمن وأقاموا حينا في تهامة عند ماء اسمه ــ غسان ــ ،ولعل اسمهم جاء من هذا ، ثم ارتحلوا الى الشام وأسسوا دولتهم التي تحضرت وعمرت المدن، واتصلت بالروم ونقلت عنهم كثيرا منحياتهم الاجتماعية والسياسية ، وكان منهم ٣٢ ملكا ، حكموا منذ أوائل القرن الاول للميلاد وآخر ملوكهم هو جبلة بن الايهم ــ٦٣٦م ــ ، وكانوا تابعين للروم .

واللخميون في العراق ، أسس دولتهم جذيمة الابرش ، نقل الحكم الى ابن اخته عمرو بن عدي في قصة تكاد تكون أسطورة ، وبعض المؤرخين يرى أن عمرا هو مؤسس الدولة في سنة ٢٦٨م ، واتخذ الحيرة عاصمة له . وكان نهايتها في سنة ٦٢٨م ، في عهد المنذر المغرور ، وعدد ملوكهم ــ٢٢ــ حكموا ٣٦٤ عاما .

وسكان هذه الدولة ، ن التنوخيين الذين سكنوا في خيام من الشعر غربي الفرات وفي الحيرة نفسها ، ومنهم الاحلاف الذين لحقوا بأهل الحيرة ، وهم أخلاط من البدو الذين يؤمون الحيرة فاستقروا بها ومن سكان الجزيرة وبعض من العراق الذين لجأوا اليها فرارا من ظلم وتخلصا منارهاق.

وثمة دولة ، هي دولة كندة ، ليس لها بعض من مقومات الدول التي رأينا ، ولكن ملوكا سادوا عليها ،وكندة بطن من كهلان . وقيل انهم من البحرين والمشقر قد أجلوا من حضرموت ، وأقاموا في موقع ــ كندة ــ ومنه جاءت هذه التسمية ، وأول ملك فيهم هو مرتع بن حارثة بن ثور ، وآخرهم عمرو بن حجر بن عمر آكل المرار ، ولعله آخرهم هو امرؤ القيس الذي لجأ الى الروم بعد مقتل أبيه في قصة مشهورة .

هذه هي الدولة التي قامت في الجزيرة العربية قبل الاسلام ، ففي الجنوب ، دول : المعنيين والسبأيين والحميريين وفي الشمال : الغساسنة في الشام والمناذرة في العراق ، وكندة في الوسط .

وجاء الاسلام بنوره ، فأزال هذه الدول ، وقضى على

ــ ٥ ــ

العصبية القبلية ، ووحد الجزيرة العربية ، دينيا وسياسيا واجتماعيا ، وأصبحت الامة العربية أمة واحدة ، ومن ــ المدنية ــ انطلقت الجيوش العربية المؤمنة تحمل رسالة الاسلام . وتضفي على المجتمعات الاخرى طابعا حضاريا وانسانيا جديدا . الى أن جاء الامويون الى الحكم ، فجعلوا دمشق عاصمتهم ، ومن بعدهم العباسيين فجعلوا بغداد بدلا من دمشق ، وأصبحت الجزيرة العربية ، ولايات يحكمها الولاة ن بني أمية ومن بني العباس . الى أن جاء العثمانيون في أوائل القرن السادس عشر ، وفي الشرق ثلاث دول ،

العثمانية والصفوية والمماليك • وقضى العثمانيون على المماليك في مصر ، وقيل أن المتوكل على الله آخر الخلفاء العباسيين تنازل عن الخلافة الى السلطان سليم العثماني ، وهي رواية لا يركن اليها ، لكن المهم أن الجزيرة العربية وقعت في قبضة العثمانيين ، فأسسوا فيها ثلاث ايالات وامارة واحدة ، فلايالات هي الحسا واليمن وعسير ، وامارة مكة المكرمة ، ثم انتقلت الى ولايتين ، هما الحجاز واليمن ، وكانت عسير لواء يتبع اليمن • وأخيرا قضت الحرب العالمية الاولى على الامبراطورية العثمانية ،وكتبت الجزيرة العربية تاريخها الحديث •

ـ ٦ ـ

وبين الحربين العالميتين وبعدهما تغير كثير من المفاهيم السياسية والاجتماعية ، وتبدلت خارطة المنطقة الجغرافية ، فأزيلت كيانات أو تقلصت أو اتسعت ، وظهرت كيانات أخرى ، واتسمت هذه الفترة ببروز ظواهر جديدة ورؤى مختلفة وأفكار جديدة تناولت مناحي حياة الفرد في المجتمع وحياة المجتمعات نفسها • كما اتسمت باندلاع ثورات وطنية وقومية ذات مضامين اجتماعيةضد الاستعمار بمختلف أشكاله ، وضد التخلف والجهل •

وفي الجزيرة العربية ، استقر الوضع السياسي في الوقت الحاضر على وجود الكيانات الدولية التالية :

١ ـ المملكة العربية السعودية •

٢ ـ الجمهورية العربية اليمنية •

٣ ـ الجمهورية اليمنية الشعبية الديمقراطية •

٤ ـ الكويت •

٥ ـ الامارات العربية المتحدة ، وتضم امارات :

(أبو ظبي ، دبي ، الشارقة ، عجمان ، أم القيويين ورأس الخيمة •

٦ ـ قطر •

٧ ـ البحرين •

٨ ـ عمان ومسقط •

ولقد تحدثنا من قبل عن الخليج ، بشكل عام ، وعن دولتي قطر والامارات العربية المتحدة ، ولعلنا نعود اليه في فصول تاليات • ونرى أن نتحدث اليوم عن المملكة العربية السعودية •

ـ ٧ ـ

أي بحث عن الجزيرة العربية ، لا يتناول حركة محمد بن عبد الوهاب ، والمملكة العربية السعودية ، يبقى مبتورا ولا غنى فيه ، فان لهما شأنا عميقا بمسيرة الاحداث التاريخية ، وتركا آثارا راسخة وقوية في التطور الفكري والسياسي والاجتماعي ، ليس في الجزيرة العربية ، وانما في المنطقة كلها •

فمن هو محمد بن عبد الوهاب ، وما هي حركته وأفكاره •

ولد محمد بن عبد الوهاب في العيينة عام ١٧٠٣ م ـ ١١١٥ هـ ، وهي قرية تقع في وادي حنيفة بنجد • وكان المجتمع الاسلامي قد أصابه تدهور في كل نواحيه ، والاسلام نفسه دخلت عليه أفكار غريبة عنه ، تسربت اليه من عصور الانحطاط التي كان لها أثرها البالغ في مسيرته السمحة الواعية • وكادت هذه الافكار أن تمتزج به ، ولم يجد كثير من المحاولات الاصلاحية التي نادى بها مصلحون هنا وهناك في مختلف أقطاره ، فالمستعمرون الذين يريدون احكام سيطرتهم ، حالوا دون أية فكرة اصلاحية ، حتى أصبح الامر كناقة الاعرابي الذي قال فيها :

هزلت حتى بدا من هزالها
عظامها ، وسامها كل مفلس

في هذه الفترة الكالحة من التاريخ الاسلامي برز محمد بن عبد الوهاب في قلب الجزيرة العربية ، فأبوه وأهله كانوا على مذهب أحمد بن حنبل ، حفظ القرآن الكريم في العاشرة من عمره ،ولفت نبوغه المبكر أنظار أهله اليه ، فأخذ يدرس ويتلقى العلم شأن لداته في ذلك الوقت على أيدي الفقهاء والعلماء •

حج الى بيت الله الحرام ، وفي مكة اتصل بالعلماء واكتسب منهم ، وألم بالمذهب الحنبلي الماما واسعا ، ولئن كانت الدراسات التي تلقاها محمد بن عبد الوهاب تقليدية، الا أن تفتح ذهنه وذكاءه ، قد أثريا عقله بتفهم صحيح لحقيقة الاسلام الذي انبثق كالنبع الصافي فجرى زلالا نقيا عذبا ، فاعتوره خلال مسيرته ، أوضار وأفكار غريبة عنه ،

ولا بد للصفاء من أن يعود اليه ، ليتابع مسيرته السمحة الخيرة ، ولن يعود اليه صفاؤه ونقاوته الا بالرجوع الى الاصل ، الى القرآن الكريم والحديث الشريف بأصالته ، ونبذ ما دس عليه أو وضع أو حرف ، وهذا متيسر بالعودة الى ما أجمع عليه الائمة ، هذه كانت رؤية محمد بن عبد الوهاب للحقيقة ، فبدأ جهاده ، وبدأت دعوته ، وكان الطريق مليئا بالحسك والاشواك ، ولا بد من اقتلاعها ، ومن يقتلع الاشواك من دربه لا بد أن تدمى يداه ، انما الايمان بفكرة وعقيدة ، والقدرة على نقل هذه العقيدة من قلب من يدعو اليها قلوب الناس ، هما ارادة الصمود ، وهما وسيلة النجاح ٠

بدأ دعوته في البصرة ، فلقي العنت والارهاق ، ورحل الى الزبير ، ولم يكن حظه فيها بأحسن منه في البصرة ، فعاد الى العيينة فكانت له ولدعوته مقرا مؤقتا ، فرحل الى الدرعية وكان أميرها يومئذ محمد بن السعود الذي احتضن الشيخ والتزم بفكره الواضح الخير ٠ وتعاهدا على المضي بالدعوة ونشرها بين الناس ، وتوافد الطلاب ينهلون من معين الشيخ ويتلقون عنه العلم ٠

في ذلك الحين كانت امارة السعوديين في وادي حنيفة وحده ، لكن بعد ما استلم عبد العزيز من بعد أبيه محمد ، تمت سيطرتهم على الرياض بعد قتل أميرها ، ثم امتدت الى القصيم والاحساء ، ومن ثم اتجهوا الى كربلاء ، وكانت الدولة السعودية الاولى قد ضمت اليها الخليج العربي (البحرين وعمان وقبائل القواسم) ٠

تابع الامير سعود الكبير في عام ١٨٠٣م مسيرة أبيه ، فأبطل الدعاء في المساجد لآل عثمان ، وأخرج موظفيهم من مناطق نفوذه ،وبدأ بتنظيم الادارة ، وكانت أهدافه تنصرف الى توحيد الجزيرة العربية تحت لوائه ، فغزا أطراف اليمن وحرر عسيرا وتهامة ونجران وبعض الامارات الساحلية،وضم الى دولته عمان ومسقط في عام ١٨٠٨ ثم توجه شمالا الى حوران ومشارف الشام ٠

وكانت تعاليم الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي تؤكد العودة بالدين الاسلامي الى أحكامه الاصلية في منبعه الصافي ، تنتشر حيثما امتد نفوذ السعوديين ٠

والشيخ محمد بن عبد الوهاب مسلم مؤمن ، حنبلي المذهب ، درس كتب ابن حنبل وكتب ابن تيمية ، وتأثر بهما الى حد بعيد ، وهو لم يكتف باستنباط النظريات والاحكام ، وانما مارسها فعلا ، فقد قطع شجرة كان يقدسها الناس ، وهدم القبة المقامة على قبر زيد بن خطاب أخي الخليفة عمر بن الخطاب ، ورجم زانية اعترفت بذنبها ٠

وكان الشيخ يرى (أنه لا سبيل الى معرفة العقيدة والاحكام وكل ما يتصل بها اجمالا وتفصيلا ، الا من القرآن والسنة المبينة له ٠٠٠ وليس للعقل سلطان في تأويل القرآن وتفسيره وتخريجه ، الا بالقدر الذي تؤدي اليه العبارات) ٠٠ ويرى أيضا (أن العقل يكون موضحا لما اشتمل عليه القرآن من الادلة) ٠

ويرى الشيخ أن العقيدة ترتكز على الوحدانية ، وحدانية الله وربوبيته وألوهيته ، وان العبادات يجب ألا تتجه الا لله وحده ، وان المشرك هو من يشرك في العبادة مع الله شخصا أو شيئا ، وان من يسوي بين الخالق والمخلوق في العبادة ، فقد جعل مع الله اله آخر ٠٠ ويحدد العبادات التي لا تصح الا لله ، ومنها الدعاء ، الاستغاثة ، النذر والقرابين ، الركوع والسجود ٠٠

وحرم زيارة قبور الصالحين والاولياء بقصد التبرك والتيمن ، أما اذا كان القصد منها التقرب الى الله ، فهو جائز ٠٠

هذه خلاصة عن آراء الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي دعا اليها وقد سبقه اليها ابن تيمية ، فكلاهما يتمسك بالقرآن والاحاديث النبوية الصحيحية وبسيرة السلف الصالح ٠

ولسنا بصدد عرض جميع آراء الشيخ ، ومناقشتها ، فقد أشبعت درسا وتحليلا من قبل كثير من الفقهاء والعلماء من مؤيدين أو معارضين ٠٠ ولكنا سنتعرض لها عندما نبحث تأثيرها في الادب ٠

ولقد واجه الشيخ محمد ، بسبب آرائه تلك ، ضروبا من العذاب والشقاء ،شأن الدعاة المصلين، لكنه صبر ،ووقف عند آرائه مجاهدا في سبيل نشرها وذيوعها ٠

وللشيخ مؤلفات كثيرة ، تتضمن آراءه تفصيلا وتحليلا ، ولعل أهمها هو ـ كتاب التوحيد ـ وكتبه الاخرى لا تقل عنه أهمية ، منها كتاب الكبائر ، المسائل التي خالف بها الرسول أهل الجاهلية ، تفسير الفاتحة ، أصول الايمان ٠٠ فضل الاسلام ، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومجموعة خطب ٠٠ وغيرها كثير ٠٠

ويبدو أن العثمانيين قد أحسوا بالخطر الجسيم يتهددهم ، ويهدد امبراطوريتهم بالزوال أو التقلص ، وهم الذين حكموا البلاد الاسلامية باسم الدين حينا وباسم الخلافة حينا آخر ٠ ومحمد علي والي مصر ، رأى أيضا خطر هذه الدعوة عليه ، أو أنها تحد من أطماعه باقامة امبراطورية كبيرة ، تقف بموازاة الامبراطورية العثمانية أو يوجهها ٠

وفكرا ـ محمد علي والعثمانيون ـ بالقضاء على الخطر في مهده ، فحزم محمد علي أمره ، ونظم حملة عسكرية لغزو الجزيرة ، والتصدي لحركة محمد بن عبد الوهاب ، وللدولة السعودية التي تحتضنه ، وتحاول بسط نفوذها على الجزيرة العربية كلها ٠

ففي عام ١٨١١ نزلت الحملة المصرية في ينبع بقيادة طوسون ابن محمد علي ، وبعد حروب كانت سجالا ، تغيرت خلالها قيادات الجيش المصري ، أصيبت الحملة بانتكاسات ، فقاد محمد علي الحملة بنفسه وزحف الى نجد ، فسقطت الدرعية عاصمة السعوديين في عام ١٨١٨ بعد معركة غير متكافئة ، وفرضت شروط الصلح ، وقضي على الدولة السعودية الفتية ، وعاد نفوذ العثمانيين الى الجزيرة العربية في عام ١٨١٩ ٠

ووجدها الانكليز فرصة بانشغال السعوديين بالحملة المصرية ، فاحتلوا الخليج العربي عام ١٨٢٠ في شرقي الجزيرة واستعمروه ، وكانت هذه احدى نتائج الحملة المصرية ٠

وليس من شك في أن هذه الحملة ، والحملة الثانية ، واحتلال سورية وفلسطين ، ووقوف الجيش المصري على أبواب نصيبين في تركيا ، أضعفت العثمانيين وهزت كيانهم، ونبه دول أوروبا الى خطر جديد يحسبونه ، وكانت انكلترا على رأس هذه الدول في تحسس هذا الخطر ، فتوجهت بانذارها الى محمد علي بالتوقف عن زحفه في الجزيرة العربية وما وراء نصيبين ، فتوقف وسحب جيشه كله من الجبهتين ، وعاد الى مصر ، وابتلع جريعة عن حلمه الكبير في اقامة الامبراطورية ٠

كان ذلك في عام ١٨٤٠ ، وفي عام ١٨٤٣ جمع الامير السعودي تركي بن فيصل شتات جيشه ، ونظم أموره ، فاستعاد الاحساء والقطيف ووادي الدواسر وعسيرا والقصيم

في هذه المحنة التي مني بها السعوديون ، توقفت حركة محمد بن عبد الوهاب بخاصة في البلاد التي انحسر عنها نفوذهم ، ولكنها كانت تأخذ مسيرها في بلاد أخرى من نجد وغيرها ، ورسخت أفكاره وتعاليمه في القلوب وفي العقول ، برغم ما اعتورها من وهن حينا ، ومن تأثر بحملات دعائية وعسكرية حينا آخر ٠

ـ ٨ ـ

في أوائل القرن العشرين كانت الجزيرة العربية موزعة ومقسمة كالاتي :

١ ـ العثمانيون والاشراف يحكمون الحجاز ٠

٢ ـ آل الرشيد يحكمون حائلا وبعضا من نجد ٠

٣ ـ الادراسة يحكمون عسيرا ٠

٤ ـ امارات عربية في الخليج يستعمرها الانكليز ٠

٥ ـ السعوديون يحكمون نجد والاحساء ، وأميرهم عبد العزيز آل السعود .

وكان الادارسة وآل الرشيد متحالفين مع العثمانيين ، لكن حلف الضعيف الواهن ، مع ضعيف واهن مثله ، لا يمدهما بقوة .

ان الوضع في الجزيرة العربية يومئذ غير مستقر ، تتعاوره خصومات تقليدية عنيفة ، وتكتنفه أطماع ، تغذيها دسائس المستعمرين ومن يعملون بأمرهم .

وليس من شك في أن هذا الوضع الخطير الناشيء عن التقسيم ، كان يقلق الامير عبد العزيز آل السعود ، ويشغل فكره الموقف العام في البلاد العربية البالغ التعقيد ،فثمة قوى مختلفة متضاربة الافكار متباينة الاهداف ، وكلها طامعة بالتوسع وبسط نفوذها على أكبر بقعة ممكنة من الجزيرة ، وان انحيازه الى أية جهة في سبيل تحقيق أهدافه لا يخلو من أخطار ، وثمة أمر آخر يعكر عليه صفوه ويأخذ قسطا عظيما من تفكيره وأحاسيسه ، فالجيش مؤلف من البدو والمتطوعين من أصحاب العقيدة ، وهو غير مستقر على حال ، فيزداد مرة ويقل عدة مرات أخرى، بحسب الظروف الطارئة وبحسب ضرورات عيشهم واضطرارهم الى التنقل . ولا بد من حل هذه المشكلة ، بتلاحم هذا الجيش واستقراره ، وهذا لا يأتي الا من سبيلين، أحدهما العقيدة الدينية،وهي موفورة والثاني الاستقرار باسكان البدو الرحل في مدن وقرى يستوطنونها ، وهذا ما كان .

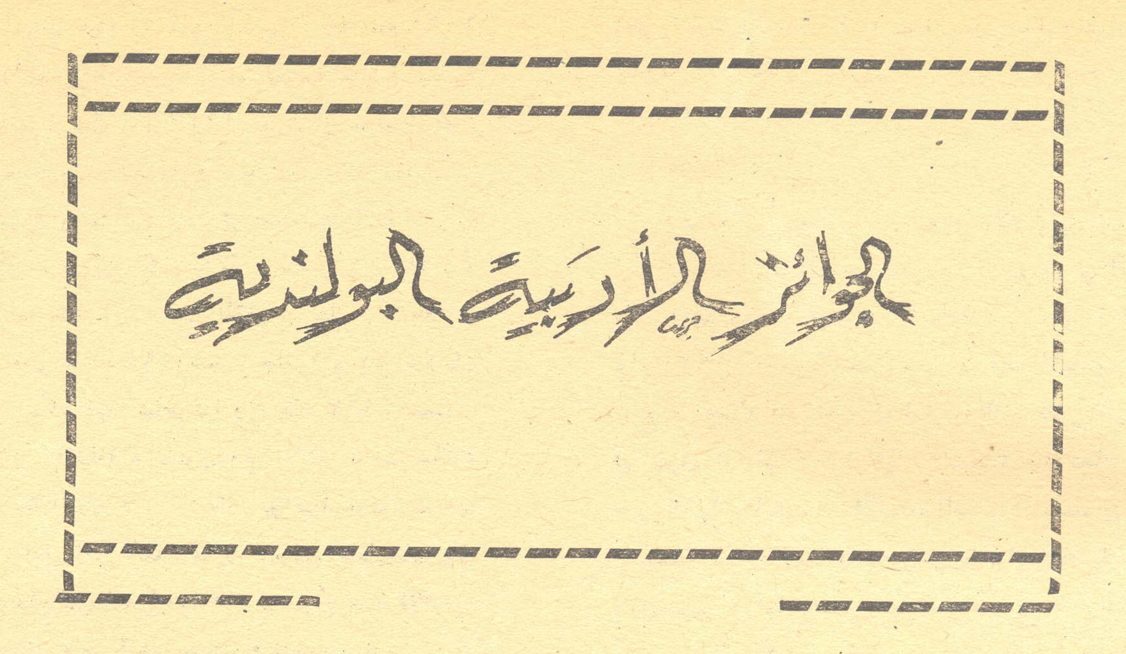
كان الشريف الحسين في الحجاز ، وعاصمة « مكة المكرمة » في غربي امارة عبد العزيز ، وفي شمالها ابن الرشيد ، وكلاهما عدو لابن السعود ، يطمع في السيادة على الجزيرة العربية وعلى العرب من خلالها ، وقد جمع بينهما حلف ، فأخذ الحسين يحتل مواقع داخلة في نطاق نفوذ السعوديين ، وكان هذا أول احتكاك بينهما . وعقد عبد العزيز مؤتمرا ضم رجال الاسرة ورجال الدين ورؤساء العشائر فنودي به ـ سلطان نجد وملحقاته ـ ، ووجد المؤتمر أن الامر يتطلب حسما سريعا يفضي الى الاستقرار ، ثم الانصراف الى البناء والى ما يقلقه من شؤون داخلية .

وكانت المشكلة الاخرى التي تواجه السلطان عبد العزيز هي وضع ابن الرشيد ، فقرر حسمها ، ففي عام ١٩٢١ استولى على حائل ، معقل آل الرشيد ، وقد استسلموا ، ثم احتل خيبرا ووادي السرحان والجوف ، وكاد يصل الى مشارف الاردن ، وفي الاتجاه الاخر انطلقت قواته الى العراق ، فاشتبكت مع بعض عشائره .

غير أن مشكلة الحجاز والشريف الحسين ، هي التي يراها عبد العزيز خطيرة اذا ما بقيت دون حسم ، ولعلها تستفحل اذا ظلت قائمة ، ففي عام ١٩٢٤ احتل الاخوان ـ جيش عبد العزيز ـ الطائف دون عناء ، فخشي أهل مكة المكرمة نتائج هذا الحدث الذي أقلقهم وهددهم بمخاطر لا سبيل لهم الى مقاومتها ، فطلبوا الى الشريف الحسين أن يتنازل عن عرشه لابنه ـ علي ـ فرفض ، ثم خلعوه وبايعوا عليا ، ودخل الاخوان مكة في خريف ذلك العام ، ثم احتلوا القنفذة في الجنوب ورابغ في الشمال ، وفي العام التالي استولوا على جدة بعد حصار دام طويلا ، استسلم في نهايته الملك علي ، وانضمت المدينة الى آل السعود ، وانتهى حكم الشرفاء من الجزيرة العربية ـ الحجاز ـ . وتمت سيطرة عبد العزيز آل السعود على كل البلاد ، ونودي به ملكا على الحجاز ، وسمي ـ ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها ـ في أول عام ١٩٢٦ . ثم بسط نفوذه على عسير والمنطقة الجنوبية .

ووقع الحسم الذي أعد له الملك عبد العزيز عدته ، وهيأ له سبل نجاحه ، وظل يكافح من أجله سنين طوالا من حياته الحافلة . وأخيرا صدر المرسوم الملكي بتاريخ ٢١ جمادى الاولى ١٣٥١هـ ـ أيلول ١٩٣٢ ـ وهو يقضي بتوحيد البلاد كلها تحت اسم « المملكة العربية السعودية » .

وهكذا تم حسم جميع المشاكل بتوحيد البلاد تحت لواء واحد واسم واحد وفكرة واحدة ،وبدأت المسيرة تأخذ سبيلها للبناء وتنظيم الحكم في أساليب عصرية حضارية ، وهي تدرس كل المشاكل التي قامت وتقوم أثناء سيرها الطبيعي ، وتضع لها الحلول ، ولم يلهها البناء في الداخل عن التفاعل مع الاحداث الطارئة في الوطن العربي أو في العالم الاسلامي، منطلقة من أهداف محددة وتطلعات هادفة لبناء المستقبل المشرق لجميع نواحي الحياة الانسانية والاجتماعية والسياسية ،وكان لكل هذا تأثيره العميق في الاحداث، وضعها وتحديد مسارها ، وسنرى ذلك كله في فصول تاليات .



ان الجوائز الادبية للدولة والتي تمنح كل سنتين شأنها شأن جوائز وزارة الثقافة والفنون في بولندا كحوافز للتأليف الادبي • بل بالاحرى كتقدير موضوعي للانجازات الادبية بغض النظر عن اتجاه البحث والموضوع أو الميل الفني • وهذه الجوائز تخص لدرجة كبيرة كامل انجازات الادب ولو أنه تؤخذ بعين الاعتبار نشاطاته التأليفية في السنوات الاخيرة • واذا تعلق الامر بجوائز وزارة الثقافة والفنون فهي تمنح في معظم الاحوال على أعمال فنية وأدبية محددة في العام الاخير • والاعمال الادبية أو الفنية تقيمها لجنة خاصة يوصي بتأليفها رئيس الوزراء في حالة جوائز الدولة، ووزير الثقافة والفنون في حالة جوائز هذه الوزارة • وهذه اللجان مؤلفة من أخصائيين بارزين وعلماء ونقاد معروفين وكتاب ورجال فن سبق أن منحوا الجوائز • وتتألف اللجنة بدورها من فروع معينة ، فالجوائز لا تمنح للادباء فقط بل هناك الموسيقيون والفنانون التشكيليون ورجال المسرح والسينما وممثلو النشرات الثقافية • وهذه الجوائز على درجتين ومسألة منحها متعلقة بمكانة هذا الاديب أو ذاك • والى جانب جوائز الدولة ووزارة الثقافة والفنون هناك جوائز المدن والمجلات الثقافية مثل مجلات (كولتورا – الثقافة) و (شجه ليتراتسكي – الحياة الادبية) و (مشنجنيك لتراتسكي – شهريات الادب) •

وتتميز جوائز الدولة لعام ١٩٧٦ بالموضوعية الكبيرة والتقدير العالي ازاء الكتاب الكبار في السن • مثلا كانت بين الفائزين كازميرا ايواكوفيجوفنا التي ولدت عام ١٨٩٢ في فبلنو • ومنحت الجائزة من الدرجة الاولى على كامل مؤلفاتها الشعرية • وقد كتبت أشعارها الاولى في عام ١٩٠٥ • وكانت تنتمي الى الجيل الجديد المسمى بجيل – بولندا الفتاة – الذي أنجب فنانين بارزين أمثال الشاعر والمؤلف المسرحي والمخرج والمصور ستانسلاف فيسبيانسكي والشاعر والكاتب ليوليولد ستاف وأبرز كاتب بولندي في الربيع الاول من القرن العشرين شتيفان جيرومسكي • ان ايواكوفيجوفنا التي تصغر جيرومسكي ببضعة أعوام قد انصهرت ، بأشعارها ، بتلك الحقبة بل بقيت وفية لها لغاية اليوم • وفي عام ١٩١١ أصدرت مجموعتها المسماة (تحليقات ايكاروس) والتي حصلت على التقدير الكبير • وأثناء الحرب العالمية الاولى كانت شاعرتنا ممرضة في جبهة الحرب وبعدها عملت في وزارة الخارجية وأصدرت عدة مجموعات

شعرية ذات طابع ديني ودنيوي أيضا كما قامت في الوقت نفسه بترجمة أشعار جيته وشيللر وبيخنر · وفي عام ١٩٣٥ منحت لاول مرة جائزة الدولة ·وأثناء الحرب العالمية الثانية عاشت في رومانيا · وفي عام ١٩٤٧ عادت الى بولندا حيث أصدرت عدة مجموعات شعرية وأعمال مترجمة لكتاب عالميين بينهم بيل وتولستوي· وقد ترجمت من اللغة المجرية أعمال أدي وتاماس ومن الانجليزية ديكتسون · وفي عام ١٩٥٤ منحت لها جائزة – نادي القلم – على نشاطها في مجال الترجمة وفي عام ١٩٥٦ منحت جائزة مدينة بوزنان البولدنية التي تسكن فيها شاعرتنا وفي عام ١٩٦٧ حصلت على جائزة وزير الثقافة والفنون وفي الاخير كانت جائزة الدولة من الدرجة الاولى · ان أشعار ايواكوفيجوفنا يعرفها المجتمع كله وغالبا تلقي أشعارها في مختلف المناسبات وفي المدارس وتنشرها الصحافة أيضا · وموضوع هذه الاشعار هو خصوصي غنائي وهو أيضا موضوع الحب والديـــن · وشاعرتنا رغم تقدمها في العمر ما زالت تؤلف وتتعاون باستمرار مع مجلة – شهريات الادب – ونجدها تتجاوب بصورة حية مع جميع الاحداث في البلاد ·

كذلك حصل على جائزة الدولة لعام ١٩٧٦ بوهدان جيشكو الذي ولد عام ١٩٢٣ · وجيشكو مهنته الاصـلية مصور وكان جنديا أثناء الحرب الاخيرة وأحـد أنصـار الجيش الشعبي والحرس وقد ساهم في الكثير من المعارك والعمليات وبينها العملية المعروفة التي اغتيل أثناؤها رئيس البوليس الهتلري في وارشو ،والمسماة – عملية كافي كلوب – وبعد الحرب بدأ ينشر مؤلفاته النثرية في الصحف الادبية · وفي عام ١٥٩٢ منح جائزة الدولة من الدرجـة الثانية على روايته – الجيل – التي تصور نضال الشبيبة أثناء الحرب العالمية الثانية وفي الفترة القصيرة التي أعقبتها · وقد نقلت هذه الرواية الى السينما على يد المخرج البولنـــدي البارزاندجي فايدا · كذلك حاز هذا الفيلم على الجائزة · ان جيشكو هو ناثر بالدرجة الاولى ولكنه أيضا كاتب مقالات وفنان تشكيلي ومؤلف سيناريوهات · وكذلك فهو نائب في البرلمان منذ عام ١٩٦٥ وذلك ضمن مجموعة نواب حزب العمال البولندي الموحد · وقد منح جوائز عديدة بينهـا جائزة مدينة وارشو وجائزة وزير الثقافة والفنون · وقد أصدر أكثر من عشرة كتب · وروايته الاخيرة – الفيضان – التي نشرت في عام ١٩٧٦ جعلته بين عداد الفائزين بجائزة الدولة · والجدير بالذكر أن جيشكو قد منحت له هـــذه الجائزة ثلاث مرات ولكن في المرة الاخيرة كانت على كامل مؤلفاته الادبية ·

والجائزة الثالثة من الدرجة الاولى منحت لستانسلاف ليم أديب الخيال العلمي المعروف الذي هو في الوقت نفسه عالم وفيلسوف · ومهنته الاصلية هي الطب · وقد ولد في عام ١٩٢١ · وهو كاتب ضرب الارقام القياسية فيما يخص ترجمة أعماله الى لغات العالم · وكتبه تلقى الرواج الكبير في سوق الكتاب في الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وبريطانيا والبلدان الاسكندنافية واليابـــان وألمانيـــا الديمقراطية وألمانيا الاتحادية وايطاليا والمكسيك واسبانيا· ومن أشهر رواياته – رجال الفضاء – و – غمامة ماجلان – و – سلسلة الكتب « دلفين » – و – الوقت غير الضائع –· وقد منحت هذه الروايات جائزة مدينة كراكوف وبعدها جائزة الثقافة والفنون وفي الاخير جائزة الدولة في عام ١٩٦٥ ثم جائزة الدولة في عام ١٩٧٦ على كامل مؤلفات ليم ومع مراعاة مؤلفاته الفلسفية مثل فلسفة الصدفة وعلم الفنطازيا وعلم المستقبل و الفراغ الكامل ·

وستانسلاف ليم مؤلف عشرات الروايات والمقالات والابحاث العلمية اخذ يؤلف في الاونة الاخيرة في حقل جديد يمكن تسميته بالرواية البوليسية ذات المنحى الاخلاقي ·ومن نتاجاته هذه يمكن ان نذكر روايات مثل التحقيق و الارق وسلسلة الكتب – الكلب – كذلك وضع الكثير من السيناريوهات السينمائية والتلفزيونية · ومؤخرا اعلن ليم عن عودته الى موضوع الفضاء الكوني ولكن من زاوية اكتشافات البشر وليس قدوم سكان الكواكب الاخرى ·

والجائزة الرابعة من الدرجة الاولى منحت لتاد بوش وباليفسكي مؤلف الروايات التاريخية والكاتب المسرحي المعروف · وقد ولد وباليفسكي في عام ١٩٠٠ وهو يهتم بتاريخ القرن التاسع عشر وخاصة فيما يتعلق بالتاريخ البولندي ومعارك التحرر الوطني · وفي عام ١٩٧٣ اصدر روايته لنرقص الكارامانبول والتي تتناول فترة كومونة باريس ·

وهناك جائزتان أخريـان منحتا ليولبان كافاليتس وهو كاتب يتناول المواضيع الشعبية الريفية ويمثل جيل عام ١٩١٦ . واشهر رواياته هي رواية الصقر الراقص التي تتحدث عن الصعوبات التي يواجهها الناس من اصل فلاحي في التكيف لحياتنا المدينة وصدرت عدة طبعات لهذه الرواية والجائزة الثانية منحت لكل من يجي بشونوفسكي وألكساندر منكوفسكي واندجي شيولسكي الذين وضعوا سوية المسلسل التلفزيوني المسمى المدراء والذي تميز بالجراءة في كشف النزاعات في المعامل . وهؤلاء الكتاب يبلغون من العمر الاربعين سنة . وكان باشونوفسكي قد عمل في احد المصانع وقبل أن يصبح كاتبا . وقد أثار هذا الفيلم نقاشات كثيرة الا أنه عومل كحدث اجتماعي وقبل أن يكون أدبيا .

وتجدر الاشارة الى الجائزة الادبية من الدرجة الاولى قد منحت في مجال التاليف السياسي ـ الثقافي لميجسواف راكوفسكي عضو اللجنة المركزية لحزب العمال البولندي الموحد والنائب في البرلمان ورئيس تحرير المجلة الاجتماعية الثقافية المعروفة بوليتكيا . ومقالات راكوفسكي في المجلة غالبا يعاد نشرها في الصحافة العالمية . ومعروفة مقابلات راكوفسكي الصحفية مع رؤوساء الدول . ومؤخرا اجرى حديثا مع المستشار شميدت حول الوضع الاوربي والعلاقات البولندية ـ الالمانية . كذلك فقد وضع راكوفسكي عددا من المسرحيات التي قدمت حينها في احد مسارح العاصمة وهو بنفس الوقت معلق تلفزيوني معروف وعضو في لجنة الشؤون الخارجية في البرلمان البولندي .

وبضمن الجوائز التي تمنحها المجلات الادبية تجدر بالذكر هنـا الجائزة التي منحتهـا مجلة شهريـات الادب لباروسلاف ايفاشكيفتش على مجموعة مقالاته المسـماة بطرسبوج وايفا شكيفتش البالغ من العمر ثمانين سنة هو عميد الادب البولندي ورئيس اتحاد الادباء البولنديين ونائب في البرلمان ويعد اشهر كاتب بولندي كذلك فهو شاعر مؤلف مسرحي وكاتب مقالات وقد ترأس البرلمان عدة مرات . ومؤلفه بطرسبورج يصور الاتصالات الادبية البولنديـة الروسية على خلفية مدينة بطرسبورج القديمة ولينينغراد الحديثة . وقد اختفى الكتاب من المكتباب بسرعة مذهلة . اما مجلة كولتورا فقد منحت جائزتهالفيتولد زاليفسكي على روايته ثمر العليق الاسود وموضوع الرواية يتناول السنوات الصعبة مابعد الحرب في الريف البولندي وقد ولد زاليفسكي في عام ١٩٢١ وقد ساهم في انتقاضة وارشو في عام ١٩٤٤ ضد المحتل الهتلري وقاتل في صفوف الجيش القطري وقد حاز على العديد من جوائز الدولة ووزارة الدفاع . وقد كتب الكثير من الروايات ذات الصبغة السياسية الاخلاقية ومن اشهر رواياته الحائط التي صدرت في عام ١٩٦٦ .

وفي العـام المـاضـي حـاز عـلـى جـائـزة مدينـة وارشـو الشاعـر ستانسـلاف ريتشـادر دوبروفولكسـي الذي بلغ هذا العام السبعين من العمر وهذا الشاعر كان معروفا قبل الحرب كمناضل اشتراكي ورئيس تحرير مجلة كفادريجا التي كانت تعد في العشرينات من مجلات الطليعة الشعرية البارزة . وحياة هذا الشاعر مرتبطة بصورة وثيقة بالعاصمة وحتى انه يسمى من باب المزاح ب بلبل وارشو .

ان منح هذه الجوائز لهؤلاء الادباء الذين يمثلون تيارات مختلفة هو أمر يدل على السياسة الثقافية البولندية المفتوحة والواسعة والتي تسترشد بالقيم الادبية الاجتماعية الموضوعية وليس بالمواقف الفكرية او المبادىء الشكلية لدى الادباء . وبالطبع في بولندا ترتبط مسألة المزايا الموضوعية بالقيم الانسانية والتمسك بتقاليد الثقافة الوطنية والمساهمة في بناء بولندا الاشتراكية ومن هنا تنبع حقيقة منح الجوائز للادباء الذين يمثلون مختلف الاجيال . وهذه الجوائز تضمن بطابعها المذكور لهؤلاء الادباء التقدير والمكانة العالية في المجتمع كما توفر المناخ الطيب في الاوساط الادبية والثقافية



الدكتور عبد السلام العجيلي الاديب المعروف ،صدرت له روايته الجديدة أزاهير تشرينية مدماة تحكي قصة بطولات برزت في حرب تشرين التحريرية ، وقد كانت النية منصرفة الى اخراجها للسينما •

الدكتور العجيلي دعي لالقاء محاضرة في الكوليج فرانس في باريس عن آثاره الادبية ويقدمه للجمهور المستشرق الفرنسي جاك بيرك •

آثار العجيلي كثيرة في مختلف الفنون الادبية ، الشعر والمقالة والدراسة والقصة والرواية •

● « المغامرة المعقدة » كتاب صدر عن وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق لمؤلفه الاستاذ محمد كامل الخطيب، وهو مقدمة في تاريخ العلاقة بين المجتمع العربي والغرب وتطورها • الاستاذ الخطيب قاص معروف ، صدر له من قبل مجموعتان هما ـ الازمنة الحديثة ـ و ـ جيران البحر ـ •

● **« تأبط شرا يبحث عن رغيفه » مجموعة قصص قصيرة صدرت عن دار الرسالة في دمشق للاديب محمد خالد رمضان ، تضم ١٩ قصة • الاديب فاز بالجائزة الاولى التي وضعتها الزميلة ـ الثقافة الاسبوعية ـ بقصته القصيرة ـ يوم خمسيني طويل لم ينته ـ • والمؤلف شاعر صدر له ديوان بعنوان ـ نداءات السحر ـ •**

● في القاهرة صدر كتاب ـ النقد والثورة ـ للجيب محمد علوان ، فيه دراسات نقدية لرواية ـ السد ـ التي ألفها محمد السعدي ودراسة أخرى عن الشاعر أبي القاسم الشابي •

● « الطفل والفراشة الذهبية » مجموعة أناشيد للاطفال صدرت عن المركز القومي في تونس للشاعر محي الدين خريف ، ولسوف يكون لها أثر أبلغ في نفوس الاطفال لو قيض لها من يلحنها •

● **آخر حلقة من سلسلة كتاب الهلال ـ سبعة أدباء من افريقيا ـ ألفه جيرالد مور ، وترجمه الى العربية علي شلش وراجعه الدكتور رمزي سعد الدين ، الكتاب يلقي ضوءا على الادب الافريقي من خلال دراسة نتاج وحياة أبرز أدباء الجنوب الافريقي مثل ـ ليوبولد سنغور ـ و ـ داود ديوب ـ وغيرهما الذين يكتبون بالفرنسية أو الانكليزية •**

● **« صوت آخر في القصة القصيرة الاردنية » عنوان الدراسة التي كتبها الاديب الاردني عبد الرحمن حمادي عن القصة في الاردن •**

وفي الاردن نشر الدكتور الشاعر يوسف عز الدين عيسى ديوانه الجديد بعنوان ـ لهاث الحياة ـ •

● قررت حكومة المملكة العربية السعودية أن تسهم بسبعة ملايين دولار لانشاء مركز ثقافي اسلامي جديد في روما •

● مكتبة المعارف في تونس أصدرت طبعة جديدة لقصة حي بن يقظان لابن الطفيل الاندلسي •

● ستصدر قريبا عن دار الاداب في بيروت الاعمال الكاملة للاديب العربي السوري حنا مينة تضم هذه المجموعة قصصا قصيرة بعنوان ـ الابنوسة البيضاء ـ ودراسة عن ناظم حكمت الشاعر التركي وروايات طويلة هي « الشمس في يوم غائم • الياطر ، بقايا صور والمستنقع » •

● الاديب مصطفى جحا ، أصدر كتابه الجديد بعنوان « أية عروبة ؟ •• أية قضية ؟ •• » الكتاب بحوث في قضايا عربية عالجها بموضوعية وجرأة •

● **في سلسلة أعلام الفكر التي تصدرها المؤسسة العربية لدراسات والنشر صدر كتيب صغير عن حياة الشاعر الروسي مايا كوفسكي في ٩٥ صفحة من تأليف الدكتورة حياة شرارة درست فيه حياة الشاعر وشعره وأسباب انتحاره، كما تحدثت عن شعراء عاصروه.**

● **« من البراري » مجموعة قصصية لرشاد أبو شاور صدرت عن اتحاد الصحفيين والكتاب الفلسطينيين، تدور حول المقاومة الفلسطينية وظروف نضالها وعلاقة الانسان الفلسطيني بها.**

● « روح القلم » كتاب صدر في الكويت للاستاذ عبد الله زكريا الانصاري، يضم مجموعة من المقالات والخواطر والاراء والافكار التي سطرها بصدق وأمانة خشية عليها من النسيان أو الضياع.

● المستشرق « جون هانويك » يعد دليلا للمخطوطات العربية المحفوظة في المكتبات العامة بغرب افريقيا والمغرب العربي وأوروبا، من المنتظر أن ينتهي المستشرق من عمله خلال عامين. المؤلم هو اهمال المؤسسات العربية المعنية بالتراث درسه ونشره والتنقيب والبحث عن مثل هذه المخطوطات، ليتصدى لها مستشرقون قد لا يقدرون على تحمل أعبائه أو قد يحرفهم الغرض عن الوفاء بالغاية التي يرجوها العرب.

● **في سلسلة روايات الهلال كانت آخر حلقة فيها الترجمة العربية لمسرحية ـ اخناتون ـ وهي الرواية الوحيدة لاجاثا كريستي التي لم تكن بوليسية، ترجمها الى العربية الاستاذ حلمي مراد.**

● **الدكتور عبد البديع عبد الله، نال الدكتوراه من كلية الاداب بجامعة عين شمس عن رسالته ـ ما بعد الواقعية في الرواية المصرية ـ تحدث في فصلها الاول عن بداية التطور نحو الواقعية وعن الواقعية الرومانتيكية والواقعية الاشتراكية والواقعية النقدية.**

وفي فصلها الثاني تحدث عن أهم الاتجاهات في القصة والرواية الحديثة. وفي الفصل الثالث عرف الاتجاهات الحديثة في القصة والرواية العالمية المعاصرة وانعكاساتها على الادب العربي المعاصر. أما في المقدمة فقد تحدث عن الظروف والاحوال التي كونت الذوق الواقعي الجديد ونموه

● الاديبة اللبنانية غادة الخرسا أصدرت ثلاثة كتب بآن واحد. الاول بعنوان ـ لعبة القدر ـ والثاني ـ حريق في الجنة ـ والثالث ـ لبنان يا عرب ـ وكلها تتحدث عن الحرب الاهلية الدامية في لبنان.

● دار المعارف في القاهرة بدأت باصدار سلسلة جديدة بعنوان ـ كتابك ـ يشرف عليها الاستاذ ابراهيم زكي خورشيد. أول هذه الحلقة كتاب للدكتور رشاد رشدي الكاتب المسرحي المعروف بعنوان ـ المسرح في حياتي ـ.

● لاحظ الاستاذ فتحي سلام في مصر أن مشكلة النشر في الوطن العربي تكاد تكون أزمة مستحكمة، فاحصائيات اليونسكو تدل على أن نصيب الانسان العربي من الكتب نصف كتاب، بينما يزيد في أوروبا على المائة، فتقدم بخمسة حلول نوقشت في نادي القصة هي :

١ ـ اعادة النظر في قوانين المطبوعات في الوطن العربي كله، بحيث يسهل استيراد وتصدير الكتب، ويحول دون سرقة المطبوعات.

٢ ـ أن تتبنى النشر اتحادات الطلاب في الجامعات العربية، وأن تصدر مجلة أدبية في كل اتحاد.

٣ ـ ان الجامعة العربية تمتلك وسائل كثيرة تمكنها من خلق حركة أدبية نشطة ومن تشجيع الادباء الشبان، وتقديم أعمال جديدة للادباء الكبار.

٤ ـ أن تتبنى شركات ونقابات في الوطن العربي حركة النشر، وأن تسهم في جزء من أرباحها لاتاحة الفرصة أمام مفكري الامة العربية وأدبائها لنشر أفكارهم.

٥ ـ تشجيع انشاء اتحادات تعاونية للنشر، عن طريق مجموعة من الادباء لنشر انتاجهم، وبرأسمال تعاوني

ويقترح الدكتور عبد الحميد يونس انشاء ـ البنك الثقافي ـ يعاون في حركة نشر الثقافة والادب في الوطن العربي.

● **« ولترسكوت » الاديب الانكليزي المعروف نشر كتابه الجديد بالانكليزية ـ خمسة مذاهب في النقد الادبي ـ الكتاب يبحث في تطور النقد الادبي الحديث، وعن خمسة مذاهب نقدية، هي : المذهب الاخلاقي. النفسي. الاجتماعي. الشكلي. وأخيرا مذهب الانماط الاسطورية.**

ولقد حرص المؤلف على وضع مقدمة لكل مذهب عالجه. وللكتاب فائدتان : مساعدة الناقد الناشيء على ابراز أفكاره وعلى اختيار منهج محدد في كتاباته. وثم انتشال دارسي النقد من متاهات النقد الحديث. حبذا لو تصدى أحد كبار النقاد لترجمته الى العربية.